حوليات آداب عين شمس المجلد 53 (عدد يناير – مارس 2025)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

مدارس الإرساليات التبشيرية الأمريكية وأثرها على الأقليات في الدولة العثمانية: الأرمن نموذجًا

د.أحمد عبد الله نجم*

الأستاذ المساعد بقسم اللغات الشرقية كلية الآداب جامعة عين شمس
ahmed.negm@art.asu.edu.eg

تاريخ الاستلام: 2024/10/01
تاريخ قبول البحث: 2024/11/12
تاريخ النشر: 2025/03/30

المستخلص:

سعت الدول الغربية لمزيد من التدخل في شئون الدولة العثمانية رغم كل هذه المكتسبات التي حصل عليها رعايا الدولة من غير المسلمين في فترة التنظيمات. وتمثلت الذريعة التي قدتمها تلك الدولة لممارسة مزيد من الضغط على الدولة العثمانية هو حماية الأقليات المسيحية فيها. وتطلب هذا إحداث نوع من السخط في المدن والأماكن التي يشكل فيها المسيحيون أغلبية معتبرة مما يؤدى لنوع من عدم الاستقرار في تلك المناطق مما يستدعي معه مزيدًا من التدخل الأجنبي.

وقد لعبت حملات "التبشير" المسيحية وخاصة الأمريكية منها والتي تغللت داخل آراضي الدولة العثمانية ومارست عملها بعد مرسومي التنظيمات بشكل قانوني دورًا مهمًا في هذا الشأن. وكانت الأداة الفعالة التي استوسلتها تلك الحملات التبشيرية لأداء المهمة المنوطة بها والمتمثلة في إضعاف الدولة العثمانية هي إنشاء العديد من المؤسسات التعليمية في أماكن تجمع الأقليات العرقية والدينية في العديد من مدن وولايات الدولة.

وفي هذا الإطار يأتي بحثنا هذا الذي نسعى من خلاله للتعرف على ما قامت به الإرساليات التبشيرية الأمريكية من خلال مدارسها داخل آراضي الدولة، وأثر ذلك على إحدى أهم الأقليات في الدولة العثمانية ونعني بها الأرمن. وما قامت به الدولة العثمانية من جهود لمواجهة تلك المدارس الأجنبية بشكل عام ومدارس الأرساليات بشكل خاص، معتمدين في الوصول لهذه الغاية على المنهج التاريخي الذي يقوم على التحليل والتفسير والاستقراء للمصادر والمراجع والدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2025.

المقدمة

مثلت مواجهة الفتوحات العثمانية في أوروبا بداية من القرن الرابع عشر أحد أهم الأسس في سياسات الدول الغربية؛ إذ أن نجاح الدولة العثمانية في هذه الفتوحات قد أدى إلى انكفاء أوروبا على نفسها في محاولة منها لصد هذا الهجوم العثماني الكاسح عليها، وأخذت تعيد بناء نفسها من جديد وتشرع في إحداث نهضتها العلمية وتتحين الفرصة لتعاود الانقضاض مرة أخرى على الدولة العثمانية إن بطريقة ناعمة عن طريق الغزو الثقافي أو بطريقة خشنة عن طريق الاحتلال العسكري.

وقد نجحت الدولة العثمانية حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي في تحقيق انتصارات عديدة في المجال العسكري وكان ميزان القوى يميل في أغلب الأحيان لصالح العثمانيين. ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلا ففي القرون التالية انتقلت العلاقة بين الدولة العثمانية والغرب إلى طور جديد من مراحل الصراع؛ إذ تمكنت أوروبا من تحقيق انتصارات في بعض المعارك التي دخلتها ضد الدولة العثمانية وظلت الأمور بين أخذ ورد بين العثمانيين والغرب المسيحي في أوروبا. وإن بدا أن الفترات الأولى من القرن السابع عشر الميلادي كانت محملة بإشارات مزعجة تشير إلى الضعف الذي بدأ يعتري أوصال الدولة العثمانية من قبيل عجز الدولة عن بسط سيطرتها بشكل كامل على البحر الأبيض والبحر الأحمر، وأخذ العالم المسيحي يهاجم منافذ الدولة الحيوية من كل جانب من البحر الأبيض والبحر الأحمر والبحر الأسود[1].

ومع بداية القرن الثامن عشر الميلادي بدأت الدولة العثمانية تتبنى خطًا جديدًا يتسم بالانفتاح على الغرب بدرجات متفاوتة وبدأت تظهر بوادر انبهار بالغرب تجلت في بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والمعمارية[2]. وفي فترة التنظيمات سعت الدولة العثمانية في محاولة لاستمالة الدول الغربية إلى جانبها إلى إعادة النظر فيما لديها من شرائع وقوانين لتتوافق مع القوانين الغربية. وفي هذا الإطار تم إصدار مرسومي التنظيمات "خط شريف گلخانه" في عام 1839م و"خط همايون" في عام 1856م. وتم التأكيد فيهما على المساواة وفق المفاهيم الغربية بين رعايا الدولة العثمانية من كل المذاهب، مع التأكيد على مبدأ سيادة القانون[3].

وبموجب تلك المراسيم وفي محاولة منها لإرضاء الدول الأوربية وضمان عدم تدخلها في شئون الدولة العثمانية تم إلغاء الجزية الإسلامية التي كانت تؤخذ منهم وذلك لقيامهم بأداء الخدمة العسكرية، ومنع كافة التعبيرات والألفاظ التي من شأنها التحقير من شأن أي فرد غير مسلم، وكفالة حرية العقيدة الدينية بالنسبة لرعايا الدولة وعدم إجبارهم على تبديل دينهم أو مذهبهم. وقبول غير المسلمين في مدارس الدولة المدنية والعسكرية ومساواتهم في الوظائف مع المسلمين. وتمثيل غير المسلمين في مجالس الولايات والمجالس المحلية، والسماح للأجانب بتملك الأراضي[4].

ولكن تدخل الدول الغربية في شئون الدولة العثمانية لم يتوقف رغم كل هذه المكتسبات التي حصل عليها رعايا الدولة من غير المسلمين؛ إذ حاول الغرب ممارسة مزيد من الضغط على الدولة العثمانية عن طريق التدخل في شئونها بذريعة حماية الأقليات المسيحية فيها. وتطلب هذا إحداث نوع من السخط في المدن والأماكن التي يشكل فيها المسيحيون أغلبية معتبرة مما يؤدى لنوع من الاضطراب في تلك المناطق مما يستدعي معه مزيدًا من التدخل الأجنبي.

وقد اضطلعت حملات "التبشير" المسيحية وخاصة الأمريكية منها – والتي تغللت داخل آراضي الدولة العثمانية ومارست عملها بعد مرسومي التنظيمات بشكل قانوني– بدور مهم في هذا الشأن. وكانت الأداة الفعالة التي استوسلتها تلك الحملات التبشيرية لأداء المهمة المنوطة بها والمتمثلة في إضعاف الدولة العثمانية هي إنشاء العديد من المؤسسات التعليمية في أماكن تجمع الأقليات العرقية والدينية في العديد من مدن وولايات الدولة.

وفي هذا الإطار يأتي بحثنا هذا الذي نسعى من خلاله للتعرف على ما قامت به الإرساليات التبشيرية الأمريكية من خلال مدارسها داخل آراضي الدولة، وأثر ذلك على إحدى أهم الأقليات في الدولة العثمانية ونعني بها الأرمن، معتمدين في الوصول لهذه الغاية على المنهج التاريخي الذي يقوم على التحليل والتفسير معتمدين على المصادر والمراجع والدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة.

وتنقسم الدراسة إلى مدخل ومبحثين؛ نتناول في المدخل الذي جاء تحت عنوان: "**الإرساليات التبشيرية في الدولة العثمانية: البدايات والانتشار**"، ونتناول فيه مراسيم التنظيمات وأثرها في تسهيل النشاط التبشيري ومجالات عمل حملات التبشير تلك وآلياتها للتوغل بين طبقات المجتمع العثماني والتي تتمثل في المؤسسات الصحية والتعليمية ومراكز الإيواء والرعاية. ثم المبحث الأول ويأتي تحت عنوان: "**جهود المؤسسات التعليمية التبشيرية الأمريكية بين الأرمن: الوسائل والتأثير**"، ونتناول فيه انتشار مؤسسات التعليم في مناطق تمركز الأرمن، والوسائل التي اتبعت لتحقيق ذلك من قبيل مناهج الدراسة التي كان يتم تلقينها للطلاب في تلك المدارس وتأثير ذلك على قطاعات واسعة من السكان الأرمن في الولايات العثمانية.

وجاء المبحث الثاني تحت عنوان: "**جهود الدولة العثمانية في مواجهة مؤسسات التعليم الأجنبي: الآليات والتطبيق**"، وفيه رصد لأهم ما قامت به الدولة العثمانية من جهود لمواجهة للمدارس الأجنبية بشكل عام ومدارس الإرساليات بشكل خاص من قبيل إصدار القوانين واللوائح المختلفة ومدى ما حققه ذلك من نجاح، ثم خاتمة بأهم النتائج التي توصلت لها الدراسة. والله تعالى من وراء القصد وهو الهادي إلى أقوم سبيل،،،

المدخل

الإرساليات التبشيرية في الدولة العثمانية: البدايات والانتشار

عقب الامتيازات التي منحها السلطان سليمان القانوني للفرنسيين امتلك التجار الفرنسيون والإيطاليون حرية الحركة داخل آراضي الدولة العثمانية، وقد سهل هذا من مهمة المبشرين ووفر استقرارًا كبيرًا لهم. وكانت بدايات دخول الجزويت[5] Cizivit إلى بلاد الرافدين في عام 1540م. ونتيجة لجهودهم تحول بعض المسيحيين السريان إلى الكاثوليكية[6]. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الدولة العثمانية هدفًا للمبشرين بسبب ما تملكه الدولة من موقع جيو استراتيجي متميز يضم عددًا من المدن المقدسة بالنسبة للمسيحيين، ويتحكم في المضايق المهمة على البحرين الأسود والأبيض، وأدى الصراع بين الدول الأوروبية إلى سعي كل واحدة منها إلى زيادة نفوذها فوق الأراضي العثمانية[7].

وقد جاء هذا الأمر في إطار مواجهة الغرب المسيحي المتمثل في أوروبا للأتراك السلاجقة ومن بعدهم العثمانيين بوصفهم ممثلين للإسلام والتي عرفت بـ"المسألة الشرقية". وهذه المواجهة تنقسم تاريخيًا إلى مرحلتين الأولى تمتد بين عامي 1071 – 1683م وكانت تتلخص في عدة نقاط هي:

1- عدم السماح للأتراك بدخول الأناضول.

2- إيقاف الأتراك في الأناضول.

3- منع عبور الأتراك إلى الروملي.

4- منع الأتراك من التقدم إلى أوروبا عبر البلقان[8].

وفي بداية تلك المرحلة حاول الغرب تحقيق أهدافه عن طريق المواجهة الخشنة المتمثلة في الأحلاف والمعارك التي خاضها ضد هؤلاء الأتراك المسلمين، ولكنه تعرض للهزيمة في جميع المعارك التي دخلها[9]. ونتيجة لهذا الأمر بدأ قبيل نهايات هذه المرحلة في اتباع سياسات ناعمة لتحقيق هذا الهدف عن طريق التأثير على العثمانيين من الداخل؛ وتمثل ذلك في مجيء الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية من فرنسا بسبب ما قدمه السلطان القانوني من امتيازات في القرن السادس عشر، وقامت هذه الإرساليات بافتتاح مدارس لها لتمكينهم من تحقيق هذه الغايات. وكانت أول مدرسة تبشيرية فرنسية كاثوليكية قد أنشئت في 18 نوفمبر 1583م في كنيسة القديس بينويت في غالاطه في استانبول. وكان ذلك التبشير الكاثوليكي الأسبق في الوصول إلى الآراضي العثمانية يتم تحت إشراف مجمع الدعاية في الفاتيكان وفق خطة محددة تقوم على تنظيم الحركة التبشيرية في الدولة العثمانية، وتعظيم الاستفادة من أعمال المبشرين بما يضمن تحقيق الأهداف التي انيطت بحملات التبشير تلك [10].

وفي عام 1622م ونتيجة لتسامح الدولة العثمانية وبالتوازي مع التطورات السياسية بدأ الرهبان الجزويت والمبشرون القادمون من الفاتيكان العمل فوق آراضي الأناضول[11].

وكان أحد أهم أهداف تلك الحملات التركيز على الأقليات المسيحية التي تعيش في مختلف ولايات الدولة العثمانية وتوجيههم وفقًا لأغراضهم الخاصة الهادفة إلى فصلهم عن الامبراطورية ومساعدتهم على تشكيل دول مستقلة عن مركز الدولة، إضافة إلى العمل على التأثير على أولاد المسلمين في النواحي الدينية لاقتلاعهم من قوميتهم وملتهم[12].

أما المرحلة الثانية فكانت بين عامي 1683 – 1920م وكانت تتخلص في:

1- تخليص الأمم والأقوام المسيحية في البلقان من الحكم العثماني.

2- التدخل بذريعة طلب إصلاح أحوال المسيحيين داخل الدولة.

3- طرد الأتراك والمسلمين الآخرين تماماً من البلقان.

4- انتزاع استانبول من يد الأتراك العثمانيين[13].

وفي تلك المرحلة الثانية شكل التبشير أحد أهم الوسائل التي أحسن الغرب استغلالها لتأكيد نفوذه في الدولة العثمانية والوصول إلى أهدافه. ساعد على ذلك بدء تكوين جمعيات التبشير التي تأسست لدعم جهود المبشرين وكان من أهمها "جمعية نشر المسيحية" التي تأسست في لندن عام 1646م في انجلترا. وانتشرت بسرعة وافتتحت ما يزيد عن الألف شعبة لها في الكثير من الدول، ومع مجيئ القرن التاسع عشر بلغ عددها سبعة آلاف[14].

وقد شكلت الامتيازات الأجنبية التي حصلت عليها الدول الغربية نقطة انطلاق لجهود التبشير تلك؛ فمن خلال الحقوق التي وفرتها تلك الامتيازات –حيث جرى استعمالها وتفسيرها بالشكل الذي يوافق مصالح الدول التي حصلت عليها– قامت العديد من الدول مثل فرنسا وانجلترا وإيطاليا وأمريكا بافتتاح مدارس لها بشكل غير قانوني بعيدًا عن رقابة الدولة. وبدأت هذه المدارس في تنفيذ أهدافها بشكل حثيث، وأدى ذلك إلى اكتساب تلك الدول تأثيرًا سياسيًّا إلى جانب التأثير الثقافي ونشر لغاتهم نفسها. وبفضل هذه المدارس أصبح لتلك الدول تأثير واضح على مجموعات معينة، وهذا أوجد بيئة مريحة وشروطًا ملائمة لتحقيق مكاسب لتلك الدول في شتى المجالات[15].

وقد اتبعت تلك الدول طريقتين لتحقيق كل هذه المكاسب الأولى: حماية مدارس غير المسلمين، والثانية تأسيس وافتتاح مدارس تابعة للدول نفسها تعطي خدمات تعليمية لنفس تلك المجتمعات. وعن طريق هذين الطريقين سعوا إلى التأثير على المجتمع العثماني عن طريق تلك المدارس مستفيدين من النوايا الحسنة للإداريين والحكام العثمانيين وعدم خبرتهم[16].

ولم يكن تأسيس تلك المدارس يتم بشكل عشوائي؛ بل كان يسير وفق خطة مدروسة تراعي التواجد الجغرافي والبنية السكانية فقد قام هؤلاء المبشرون بتقسيم أراضي الدولة العثمانية إلى أربع مناطق هي: "الجزء الأوروبي، والشرق والغرب والمركز. وكان التبشير في الجزء الأوروبي يضم فليبه وسلانيك ومناستر. وكان التبشير في الغرب يضم نواحي استانبول وإزميت وبورصة وميرزيفون وقيصري وطربزون. أما المركز فيضم المنطقة التي تمتد من جنوب طوروس ووادي نهر الفرات وأعطوا ثقلاً لمدن فيلبة وعينتاب. وتضم المناطق الشرقية خربوط وأرضروم ووان وماردين وتبليس وجميع أراضي شرق الأناضول التي تمتد حتى روسيا وحدود إيران[17].

وقد أولى المبشرون سواء الكاثوليك أو البروتستانت أهمية كبيرة للتعليم ووجدوا فيه خير وسيلة لتسيير نشاطاتها الأساسية؛ ذلك أن التعليم يمثل القاطرة التي يتم من خلالها إعادة تشكيل وعي المجتمع وقناعات أفراده. ففي القرن التاسع عشر ازداد عدد المدارس الكاثوليكية بشكل كبير وملحوظ وخاصة التي أسسها رهبان وراهبات فرنسيو الأصل ينتسبون إلى جماعات وطوائف دينية مختلفة. وكان الرهبان والراهبات هم العمود الفقري للمعلمين في تلك المدارس، وإلى جانبهم

أيضًا عدد من السكان المحليين من الروم والأرمن والبلغار والمارون إضافة إلى معلمين من الأتراك والانجليز والألمان[18].

أيضًا في تقرير قدمه ناظر المعارف زهدي باشا إلى السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1894م ورد فيه:" إنه من غير الممكن تقديم إحصاء دقيق عن المدارس والمؤسسات التبشيرية في الدولة العثمانية. ومع هذا فقد ذكر التقرير أن عدد المدارس البروتستانتية بلغ وحدها 413 مدرسة وذلك في وقت كان عدد مدارس الأقليات في البلاد لا يقل عن 4547 منها 4049 مدرسة غير مرخصة[19]. وفي إحصاء رسمي تم في عام 1897م زاد عدد مدارس الأقليات تلك حتى بلغ 6739 مدرسة، كان منها 624 مدرسة تبشيرية يدرس بها 27.400 طالبًا[20]. وفي عام 1913 زاد عدد مدارس الأقليات تلك مرة أخرى حتى بلغ 13018 مدرسة[21].

وعند مقارنة أعداد المدارس الأجنبية بين عامي 1870 – 1890م يتضح لنا ثقل وحجم ما قام به التبشير الأمريكي ممثلاً في المدارس التي أنشأها فعدد المدارس الفرنسية كان 72 مدرسة، الانجليزية 83 مدرسة، والنمساوية سبع مدارس، والألمانية سبع مدارس، والإيطالية 24 مدرسة، والروسية 44 مدرسة، والإيرانية مدرستان، واليونانية ثلاث مدارس؛ أما الأمريكية فكان عددها 465 مدرسة. وهذا الفارق الضخم بين تلك المدارس يشير إلى اهتمام الولايات المتحدة بالدولة العثمانية وسعيها إلى تحقيق أهداف استراتيجية في هذه البلاد وتعويض ما فاتها من وقت في العمل فوق الأراضي العثمانية لصالح الدولة الأوربية التقليدية فرنسا وانجلترا وروسيا[22].

لذا يمكن القول إن مدارس التبشير وخاصة البروتستانتية منها قد شكلت أداة مهمة استخدمتها الدول الغربية بأفضل صورة ممكنة في جهود التنصير الرامية إلى تغيير بنية الدولة العثمانية مما قد يمهد الطريق لاستعمارها، ثم بعد ذلك تقسيمها. وكانت الوسيلة الأمثل في تلك الجهود المنظمة هو التأثير على الأقليات وحثها على تغيير قناعاتها وتطلعاتها وحتى إلى التمرد والسعى إلى فرض واقع جديد بالقوة في محاولة منها للانفصال عن الدولة العثمانية. ولعل الأرمن كانوا أحد أهم تلك الأقليات التي تأثرت بشدة بجهود تلك المدارس وهذا ما سوف نحاول أن نعرض له في الصفحات التالية.

المبحث الأول

جهود المؤسسات التعليمية التبشيرية الأمريكية بين الأرمن: الوسائل والتأثير

كان الأرمن من أكثر الأقليات تميزًا في الدولة العثمانية منذ دخولهم تحت حكم الدولة العثمانية، فعقب فتح القسطنطينية نعم الأرمن برعاية السلطان محمد الفاتح ومساعدته فكانوا من أرقى العناصر وأصدقها وأشدها ولاء وإخلاصًا وأكثرها نفعًا. وقد استولوا على الأسواق المالية والتجارة والصناعة، واشتهرت منهم أسر عديدة قدمت للدولة العثمانية أجل الخدمات أمثال باليان ودوزيان وداديان، واشتهر الأمير قزازيان بأنه كان من أقرب الأصدقاء للسلطان محمد الفاتح. وظل الأرمن يتمتعون بتلك المكانة في بنيان الدولة الاجتماعي حتى إنهم عقب إصدار مرسوم التنظيمات 1856م في عهد السلطان عبد المجيد (1839–1861م) قاموا بسن قانون لإدارة أمورهم الداخلية يمنحهم حق تشكيل مجلس نواب من ممثلي الأرمن في الولايات والعاصمة، وينتخب من بينه مجلسًا تنفيذيًا يعمل تحت سيطرته، ويشرف هذا المجلس على سائر أمور الأرمن، وكان هذا يعني قيام دولة داخل الدولة ولكن السلطان عبد المجيد صادق في 27 أكتوبر 1862م على تنفيذ ذلك القانون[23].

ولكن هذا الحال بدأ في التغير مع قدوم الإرساليات التبشيرية إذ سعى المبشرون إلى فهم النظام السياسي والبنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات التي يمارسون فيها تبشيرهم. وكان لجهود المبشرين هدفان الأول ديني وينقسم إلى شقين هما: تحويل المسلمين عن دينهم، وتحويل المسيحيين من المذاهب المختلفة إلى الكاثوليكية والبروتستانتية. والهدف الثاني سياسي ويتمثل في تحريك غير المسلمين والمجموعات العرقية وإثارتهم بهدف تقسيم الدولة أو إضعافها[24].

ولعل فشل المبشرين في تحقيق الشق الأول من هدفهم هو ما دفعهم إلى التركيز على الشق الثاني والمتمثل في دفع مسيحيي الدولة العثمانية من سائر المذاهب إلى اعتناق الكاثوليكية والبروتستانتية. إذ إن غالبية من ارتد عن الإسلام – وهم قليلو العدد للغاية– كانوا من غير المسلمين الأصلاء أي كانوا مسيحيين بالأساس دخلوا الإسلام ثم ارتدوا إلى المسيحية بعد فترة من الزمن، وحدث هذا في معظم الأحيان أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[25]. ولعل إرهاصات هذا الأمر التي ظهرت في فترة مبكرة هي ما دفعت المبشر الأمريكي إيلي سميث للقول بعد جهد تبشيري استمر لعامين 1830–1831م :"إنه لا أمل في إمكانية تنصير الأتراك، وأن السبيل الوحيد الممكن للدخول إلى قلب أراضي العدو يكون عن طريق العمل بين المسيحيين الساكنين فوق تلك الأراضي"[26].

وهذا التأثير الذي سعى المبشرون إلى تحقيقه في بنية الدولة العثمانية يمكن أن نتناوله في بعدين الأول البعد الثقافي وهو ضروري من أجل تكوين مجموعات وسيطة داخل الدولة المجموعة تتولى الفعاليات ونشر مذهب الدول التي أرسلت هؤلاء المبشرين. والبعد الثاني هو البعد المعرفي والديني ويكتسب أهميته بسبب أن الإرساليات التبشيرية كانت تقوم بنشر الدين وإدخال المعارف الغربية إلى الدولة العثمانية من خلال قناة مهمة هي المدارس التبشيرية[27].

فعلى الرغم من تعدد وسائل المبشرين داخل الدولة العثمانية مثل فتح الكنائس والجمعيات الخيرية والمطبعة وعلاج المرضى؛ إلا أن التعليم المتمثل في المدارس كان شرطًا حياتيًّا بالنسبة لهؤلاء المبشرين لا يمكنهم تحقيق أي شيء دون وجوده والنفاذ من خلاله. ولهذا السبب استطاع المبشرون الأمريكان والانجليز والفرنسيون من خلال هذه المدارس التي

تحولت إلى مستعمرات داخل أراضي الدولة تكوين أرضية فكرية حاضنة لهم داخل الدولة. وقد أصبحت هذه المدارس من أقوى الأسلحة في يد قوى الغرب ضد الدولة العثمانية[28].

وعلى الرغم من أن التبشير البروتستانتي كان آخر موجات التبشير التي تعرضت لها الدولة العثمانية إذ بدأ في بدايات القرن التاسع عشر في فترة متأخرة من عمر الدولة؛ إلا أنه كان أكثرها تأثيرًا. فبعد أن وقعت الدولة العثمانية ضمن حصة مبشري الولايات المتحدة الأمريكية عندما تم تقسيم العالم بين المنظمات ومجموعات التبشير البروتستانتي؛ تولت العمل فوق أراضيها منظمتان كبيرتان هما "مجلس المفوضين الأمريكي للإرساليات الخارجية" American Board of Commissioners for Foreign Mission (ABCFM) ، والثانية هي "مجلس الإرساليات الأجنبية للكنسية المشيخية"Board of Foreign Missions of the Presbyterian Church (BFMP) [29].

وقد تشكل مجلس المفوضين الأمريكي في عام 1810م، وأضحى ذلك المجلس أهم الهيئات التبشيرية التي نشطت في عموم الدولة العثمانية، واتخذ من مدينة بوسطن مقرًا له[30]. في حين ركز مجلس الإرساليات جهوده في سوريا ولبنان، وبدأت المنظمتان العمل سويا في عام 1870م [31].

وقد تولى جيمس برتون James Barton رئاسة ذلك المجلس وأصبحت الدولة العثمانية أولى الدول التي استهدفها برتون، ويرجع السبب في ذلك إلى سعي الولايات المتحدة للحصول على مكانة اقتصادية وعسكرية وسياسية في الشرق الأوسط، وهو ما لا يمكن أن يتحقق دون استهداف الدولة العثمانية التي كانت تسيطر وتتحكم في تلك الجغرافيا من العالم[32].

وكان أول ظهور للمبشرين الأمريكان في الدولة العثمانية قد حدث في 14 يناير عام 1820م عندما وصل اثنان من المبشرين الأمريكيين هما ليفي بارسونز Levi Parsons ، وبليني فيسك Pliny Fisk إلى مدينة إزمير واتخذا منها أول مركز تبشيري أمريكي في الدولة العثمانية. وحال وصولهما شرعا في القيام برحلات عديدة إلى مناطق مختلفة من الدولة العثمانية وزعا خلالها الكتاب المقدس المترجم إلى اللغات المحلية، بعد أن تولت طبعه جمعية الكتاب المقدس البريطانية في لندن[33]. وشهد عام 1824م تأسيس أول مدرسة إرسالية تبشيرية أمريكية فوق أراضي الدولة العثمانية وكان ذلك في إحدى الولايات التابعة للدولة وهي ولاية بيروت[34].

ولعبت العلاقات بين الدولة العثمانية وأمريكا دورًا مهمًا في تسهيل عمل الإرساليات التبشيرية إذ إنه جرى في 7 مايو1830م توقيع معاهدة التجارة وسير السفن بين الدولة العثمانية وبين الولايات المتحدة. وبعد تلك الاتفاقية بدأ الحضور الأمريكي في الدولة العثمانية في إثبات وجوده في قطاع التبشير والتعليم خاصة. وكانت الامتيازات الاقتصادية أحد الأسباب في حدوث هذا الأمر فقد كانت الأعوام التي شهدت توقيع الاتفاقيات التجارية 1830–1862م هي الفترة التي استقرت فيها حركة التبشير وتوسعت في الدولة العثمانية[35]. وعقب تلك المعاهدة شهدت مدينة استانبول افتتاح أول مدرسة أمريكية بها وكان ذلك في حي بي اوغلو عام 1832م. ولكنها ما لبث أن أغلقت من طرف الباب العالي بسبب ضغوط البطريركية الأرمينية بذريعة أنها سوف تفسد العقول[36].

واستفاد المبشرون الامريكان من الحرية التي وفرها فرمان التنظيمات 1839م، وفرمان الإصلاح 1856م، فقد سّرعوا من نشاطهم وقاموا بتأسيس مراكز تبشير في عينتاب في عام 1848م، وفي عرب گير سنة 1850م، وفي طوقات وقيصري سنة 1853م، وفي مرعش وحلب وسيواس وخربوط سنة1854م، وفي اورفة وانطاكية وازميت سنة 1855م، وفي الموصل وديار بكر سنة 1856م، وفي ماردين وبتليس وأدرنة سنة 1857م، وفي أضنة سنة 1863م[37].

وكان الأرمن في الدولة العثمانية هم الشريحة المستهدفة من جهة المبشرين الأمريكان لتحويلهم إلى المذهب البروتستانتي؛ إذ بدأوا في عام 1840م في توزيع الإنجيل مترجمًا إلى اللغة الأرمينية لنشر مبادئ البروتستانتية. ورغم معارضة الطوائف الأخرى؛ إلا أن جهود هؤلاء المبشرين استمرت واستطاع المبشرون البروتستانت تأسيس محطة لهم في أزميت في عام 1856م[38].

كما لعب المال دورًا مهما في جهود المبشرين الأمريكان لتحويل الأرمن إلى المذهب البروتستانتي إذ نجد إحدى الوثائق العثمانية تتحدث عن أن انتقال الأرمن إلى المذهب البروتستانتي ياتي نتيجة طبيعة لتقديم المبشرين ألمريكان إعانات مالية للأرمن. وكان من نتيجة ذلك الأمر انتقال خمسة عشر من الأرمن من اتباع الكنيسة الجورجية الأرمنية إلى المذهب البروتستانتي[39].

أما الوسيلة الأمثل لتحقيق ذلك الهدف فكانت هي تأسيس المدارس لجذب أطفال الأرمن واستعمال وسائل حديثة لتعليمهم وترغيبهم في التعليم. وأفتتحت مدارس في العديد من المدن العثمانية في استانبول وإزمير وبورصة وطربزون. وأبدى الأرمن مقاومة لهذه المدارس في بداية الأمر، ثم ما لبثت هذه المدارس أن تحولت إلى أمر واقع في نهاية الأمر. فعلى سبيل المثال كانت مدرسة البنات التي افتتحها المبشرون في إزمير للبنات في عام 1838م يدرس بها أربعون طالبة، والأخرى التي في بورصة يدرس بها سبعون طالبة[40].

ومرة أخرى ظلت المدارس أهم المؤسسات في نشر ثقافة هؤلاء المبشرين حيث أن التركيز على المؤسسات التعليمية يمكّن هؤلاء المبشرين من التغلغل في المجتمعات وغرس أفكارهم في أذهان الأطفال وغير المتعلمين ومن ثم تنصير المسلمين واليهود إن استطاعوا، وتحويل نصارى المنطقة عن مذاهبهم المتعددة إلى المذهب البروتستانتي، لاسيما وأن الدولة العثمانية كانت في القرن التاسع عشر تعاني من نقص شديد في أعداد المدارس وتفشي الأمية[41].

لذا نجد أن المدارس التي أسسها المبشرون داخل بنية الكنائس كانت ترسل الطلاب الأرمن إلى معهد اللغات الشرقية الحية الذي تأسس في باريس عام 1811م، وإلى معهد لازاريان الذي تأسس في موسكو عام 1816م، وإلى الحلقة الدراسية التي تأسست في نرسيسيان في تفليس عام 1823م. وكل هذه الفعاليات قد وفرت المناخ لبعث الثقافة الأرمينية من جديد وأخرجت المجتمع الأرمني عن كونه "الملة الصادقة" Millet-i Sadıka كما كان يطلق عليها في أوقات سابقة[42].

وفي عام 1850م تم تشكيل جماعة بروتستانتية والاعتراف بها ضمن نظام الملل العثماني[43]، وأصبح لها حق اختيار رئيس يمثل مصالح الملة البروتستانتية الجديدة في استانبول. وسهل هذا الوضع الجديد من عمل المبشرين الأمريكان على أراضي الدولة العثمانية؛ يدلل على ذلك عدد الإرساليات التبشيرية الأمريكية في الدولة العثمانية الذي بلغ

21 إرسالية في سنة 1869 وكانت تقوم بإدارة 185 مركزا تبشيريًا؛ زاد عددها في نهاية القرن التاسع عشر لتصل إلى 30 إرسالية تملك 15 مركزًا رئيسيًا و 254 مركزًا ثانويًا مساعدًا(44).

وبالتوازي مع هذا الجهد الدعوي فقد زادت في نفس الفترة أعداد مدارس التبشير الأمريكية بشكل كبير ففي نهاية القرن التاسع عشر كان هناك 378 مدرسة ابتدائية أمريكية يدرس بها 14414 طالبًا و 33 مدرسة متوسطة يدرس بها 2600 طالب وثلاث مدارس لاهوتية يدرس بها 22 طالبًا، وثلاثة معاهد يدرس بها 520 طالبًا بإجمالي عدد مدارس 417 مدرسة يدرس بها 17.557 طالبًا(45). وفي عام 1905م ارتفع عدد تلك المدارس مرة أخرى ليصل إلى 465 مدرسة وعدد الطلاب ليصل إلى 22867 طالبًا(46).

ومع الوقت أصبح تأثير تلك المدارس أكبر حتى من جهود هؤلاء المبشرين في المجال الديني؛ إذ أن خريجي تلك المدارس تولوا وظائف في الدولة وكان منهم المدرسون والوعاظ وانعكس ما درسوه من مناهج باللغة الأرمينية خاصة الأدب الأرميني على نمو الحس القومي والشعور الانفصالي لدى هؤلاء الأفراد في فترات تالية(47).

واستطاعت تلك المدارس التي انتشرت حتى القرى في الدولة العثمانية أن تبذر بذور الصراع بين مكونات الشعب التي عاشت معاً لمئات السنين، وقد أسفرت جهود التبشير تلك عن زيادة الرغبة لدى الأقليات في إحياء لغاتهم ولهجاتهم والتعلم بلغة أجنبية، وإحساسهم بالتفوق تجاه جيرانهم من المسلمين في القرى والأماكن التي يعيشون فيها ونفورهم من الوضع الذي يعيشون فيه. وأدى هذا إلى تغذية المشاعر والأحاسيس القومية بين شباب الأرمن، وإلى تمردهم ضد الحكم العثماني وبدء مساعيهم للحصول على الاستقلال على المدى الطويل (48).

وفي تلك المدارس الأولية الأمريكية التبشيرية كان التعليم يتم باللغة الأرمينية على يد مدرسين من السكان المحليين من الأرمن البروتستانت. أما الدرجة الوسطى من تلك المدارس فكانت لغة التعليم الأساسية هي الانجليزية وكان جميع المدرسين تقريبًا من المبشرين الأمريكان. ويتم استقدام كتب الدراسة من أمريكا بحيث كان لهذه المدارس ماهية المدارس الأمريكية بشكل حقيقي وتحمل الصبغة التبشيرية التي كانت يهدف إليها التبشير الأمريكي بالأساس(49).

فإذا ما قارنا بين تلك هذه التوجهات التي كانت تحكم العملية التعليمية في مدارس الإرساليات والدروس التي تقدم في المدارس الأرمينية في فترة ما قبل التنظيمات والتي كانت تقتصر على دروس النحو في اللغة الأرمنية وقواعد الديانة المسيحية والقراءة والكتابة وعمليات الحساب الأربع إلى جانب اللغة التركية. وكانت تتم في مؤسسات تمتاز بالبساطة؛ إذ أنها كانت عبارة عن حجرة بسيطة بجوار إحدى الكنائس ويقوم على التدريس بها أحد القساوسة (50). يمكن أن ندرك بعد المسافة بين تعليم يأتي في إطار التعايش السلمي بين مكونات المجتمع العثماني وبين مناهج دراسية تمت صياغتها على يد قوى أجنبية لإحداث نوع من التنافر والتعارض بين مكونات ذلك المجتمع، حيث أنها كانت تركز بالأساس على الأقليات المسيحية بحسبانها مشروعات لدول مستقلة مما يؤدي في نهاية الأمر إلى قضم مساحات كبيرة من الدولة وتقزيمها وإضعافها بشكل مؤكد.

وحتى يتمكن التبشير الأمريكي من استكمال حلقة السيطرة على وعي الأجيال الناشئة في الدولة العثمانية عن طريق التعليم، سعي إلى إنشاء مؤسسات تعليمية أخرى تقبل الطلاب المسلمين من أبناء الطبقة العليا مستغلا رغبة هؤلاء

المسلمين في حصول أبنائهم على تعليم جيد وإتقان اللغات الأجنبية بشكل متميز. وكان من أهم تلك المدارس معهد روبرت الذي تأسس في استانبول في عام 1863م. وكان التركيز على تلك الشريحة من المجتمع يضمن تغلغل خريجي هذا المعهد الأمريكي ومن قبله المدارس الأجنبية الأمريكية في مفاصل الدولة والتأثير فيها[51].

ولعل إنشاء مثل معهد روبرت جاء في إطار توزيع أدوار العمل التبشيري على كامل مساحة آراضي الدولة؛ فاختيار الأناضول كساحة لعمل المبشرين الأمريكان يرجع إلى الاستقرار والرفاه الذي كان يتمتع به الأرمن من سكان استانبول على عكس الحال في الأناضول. لذا كان إثارة مثل هذه النعرات القومية والتطلعات لدى قطاع عريض من سكان هذه المناطق أيسر بالنسبة لهؤلاء المبشرين. وجاء تأسيس كلية روبرت في استانبول ليخاطب الشريحة العليا من المجتمع إن من المسلمين أو من غيرهم ليس على سبيل غرس التطلعات القومية أو تحويل الولاءات الوطنية؛ بل على اعتبار أن هذه الفئة من الطلاب سوف تتولى مقاليد الأمور في الدولة التي يريد المبشرون أن تغير وجهتها وهويتها. لذا قدمت كلية روبرت نفسها في ثوب علماني يحتضن المسلمين وغيرهم معًا داخل أسوارها في قاعات الدراسة.

وبعد عام 1880م أُعطيت أهمية لمثل هذا التعليم العلماني وجرى تطويره وتوسيعه. وكان الكثير من خريجه من شباب الأرمن يتم إرسالهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية لاستكمال تعليمهم وأكثرهم حصل على الجنسية الأمريكية[52]. يدلل على أعداد هجرات الأرمن المتزايدة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة؛ فحتى عام 1899م بلغ مجموع من هاجر من الأرمن 37962 فردًا. أما بين عامي 1905 – 1915 فقد هاجر 367.468 فردًا من الدولة العثمانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأسباب سياسية واقتصادية، كان 5% فقط من الأتراك والبقية من الأرمن[53]. وكان الهدف من دفع الأرمن المتعلمين جيدًا هو تمكينهم من المشاركة بسهولة أكبر في الأنشطة التحريضية في الجغرافيا العثمانية بعد حصولهم على مكانة مميزة كمواطنين أمريكيين. والقيام من خلالهم بتوجيه الرأي العام نحو أهدافها الخاصة من خلال الدعاية ضد الدولة العثمانية في الرأي العام الأوروبي والأمريكي، بالقول إن: "الأتراك يضطهدون الشعب المسيحي"[54].

ويكفي للتدليل على مدى اهتمام التبشير الأمريكي بالدولة العثمانية وتزايده بشكل مستمر أن نعلم أن حجم ما أنفقه "مجلس المفوضين الأمريكي للإرساليات الخارجية" قد تجاوز ثلاثة عشر مليون دولار بين عامي 1819 – 1914م. كان نصيب الأناضول ذات التواجد السكاني الأرمني ما يزيد عن خمسة ملايين دولار في الفترة بين عامي 1871–1901م فقط. وهذه النفقات كانت في تزايد مستمر حيث زادت في عام 1901م بمقدار 46% عما تم انفاقه في عام 1819م[55]. وفي هذا الإطار جاء إصدار المبشرين الأمريكان بداية من عام 1850م للجرائد والمجلات باللغة الأرمينية في مناطق تواجد الأرمن كما حدث في مدينة غازي عينتاب على سبيل المثال التي شهدت وحدها إصدار أربع جرائد ومجلة باللغة الأرمينية[56].

وفي نهاية هذا الجهد المنظم والمدعوم ماديًا أثمرت جهود المبشرين عن تحقيق أمرين تمثل الأول في نشر المذهب البروتستانتي مذهب المبشرين حيث زادت أماكن العبادة الخاصة بهم في مدن الأناضول المختلفة، فقد ارتفع عدد الكنائس البروتستانتية في الأناضول من أربع كنائس في عام 1846م إلى 112 كنيسة في عام 1900م. وعدد أعضاء تلك الكنائس من 105 أعضاء إلى 10.980 عضوًا في نفس الفترة[57].

أما الأمر الثاني فتمثل في التأثير على الأقليات وعلى رأسها الأرمن والبلغار واليونان في محاولة لفصلهم عن الدولة العثمانية. وفي هذا الجانب تولت المدارس التبشيرية توفير الغطاء النظري للمتمردين الأرمن وإعدادهم وتنشئتهم وحمايتهم. وأصبحت بعض المدارس الأرمنية تمثل محاضن للفكر القومي الانفصالي الذي أخذ في التسارع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر سواء في الكنائس أو في المدارس. وكانت تصل أوامر من قادة الأرمن في الخارج تشدد على ضرورة عدم إرسال أطفال الأرمن إلى مدارس الدولة حتى إن بعض الوثائق أشارت إلى أن المدارس كانت تعمل بانصيب لجميع التبرعات لمساعدة المنظمات الأرمنية المتطرفة(58).

كما أن الكثير جدًّا من الأرمن الشبان من خريجي المدارس الخاصة بالمبشرين البروتستانت الأمريكان كانت لهم آراء ذات صبغة عالمية مختلفة. فمع أنهم لم يتحولوا إلى المذهب البروتستانتي؛ إلا أنهم كانوا أصحاب بنية فكرية نافذة تتطلع إلى الاستقلال تكونت من خلال التعليم الأمريكي. ونظر هؤلاء الشبان إلى الدولة العثمانية ومؤسسات الجماعة الأرمنية التقليدية على أنها رجعية ودب فيها الفساد. وبعد عام 1880م تم تعيين الكثير من الشباب الأرمن من هذا الجيل كمدرسين في مدارس الجماعة الأرمنية ولم تستطع الجماعة الأرمنية التقليدية السيطرة على هذا الجيل(59).

وهذه الأجيال التي نشأت وتعلمت في مدارس الإرساليات التبشيرية الأمريكية أصبحت على عكس عائلاتهم التي استطاعت التوائم إن قليلاً أو كثيرًا مع بيئتهم المسلمة لديها فجوة حضارية حادة؛ لأنهم تربوا بهوية مسيحية خالصة من الأصل وبالتالي شعروا بالغربة والعزلة تجاه البيئة المجتمعية المسلمة التقليدية التي كانوا يعيشون فيها. وقد أكدت معاهدة برلين 1878م من هذا التوجه. فعلى الرغم من أن الدولة العثمانية قد تعهدت بموجب المادة 61 من تلك المعاهدة بعمل إصلاحات لصالح الأرمن في الأماكن التي يعيشون بها وتضمن حمايتهم ضد الأكراد والشركس. كما أنها تعهدت بموجب المادة 62 منها بأنها لن تتسبب في فقدان أي حقوق أخرى للأرمن إذا ما غيّروا طائفتهم. كما أقرت بأن القناصل والمبشرين سيكون لهم الحق في حماية المؤسسات الدينية رسميًا(60)؛ إلا أن السلطان عبدالحميد الثاني لم يطبق كلتا المادتين قط، مستفيدًا من العداوة الكامنة بين الدول الكبرى، وأعتبر هذا الأمر واحدًا من أكبر إنجازات السلطان عبدالحميد الثاني في السياسة الخارجية(61). ولعل هذا ما حطم آمال الأرمن بشكل كامل في خلق دولة لهم عن طريق الحل التفاوض. وخلق قناعة لدي قطاعات منهم تعتبر أن الطريق الوحيد للوصول إلى ذلك الهدف يكون عن طريق دعوة جموع الأرمن للتمرد والعصيان المسلح ضد الدولة العثمانية. وعلى ذلك بدأت فترة تأسيس منظمات أرمنية مسلحة مثل الهنتشاق Hınçak في عام 1887م وطاشناق Taşnak عام 1890م (62).

وفي هذا الإطار قام الأرمن بالعديد من التمردات والمظاهرات منها: تمرد أرضروم وواقعة موسى بك ومظاهرة قوم قابي في عام1890م، وفي عام 92 – 1893م أحداث مرزيفون وقيصري وبوزجات. وعصيان صامسون الأول في عام 1894م، وفي عام 1895م واقعة الباب العالي وعصيان زيتون وأحداث طرابزون وگومشخانه وباروت وأرضروم وهنيس وموش وبتليس، وهجوم البنك العثماني عام 1896م، وعصيان صامسون الثاني عام 1904م، ومحاولة اغتيال السلطان عبد الحميد الثاني 1905م (63). ولعل نظرة على تواريخ تلك الأحداث يدلل على أن مثل هذه الأعمال لم تحدث إلا في فترات تالية على تأسيس المدارس الإرسالية الأمريكية.

كما كانت هناك علاقة عضوية بين المعلمين وبين عصابات الأرمن حيث لم يتأخر هؤلاء المعلمون عن تقديم أي مساعدة مادية لتلك العصابات، أو في بعض الأحيان كانوا ينخرطون معهم بشكل فعلي في أنشطتهم. حتى إن مدرسي المدارس الأرمنية قد شكلوا قسمًا كبيرًا من المتمردين الأرمن الذين شاركوا في الأحداث الدامية التي وقعت في الأناضول في تلك الفترة بين عامي 1892 – 1896م. وقد تعرض بعضهم للقتل والآخر هرب من الأناضول حتى أن الكثير من المدارس الأرمنية أصبح بلا مدرسين بعد عام 1895م(64).

ولعل الوثائق العثمانية تؤكد على مثل تلك النشاطات المضرة بالدولة العثمانية ففي إحدى الوثائق المؤرخة بتاريخ 22 مايس 1312 رومي الموافق 3 يونيه 1896م نجد الوثيقة تتحدث عن حماية المبشرين الأمريكان لعدد من الأشقياء الأرمن الذين قاموا بقتل ثلاثة من القرويين الأتراك المسلمين وجرح ثلاثة آخرين(65).

وختامًا يمكن القول أن هذه المدارس قد نجحت في صياغة هوية وطنية مصطنعة لطلابها من الأرمن عن طريق تدريس اللغة الأرمنية، والاهتمام بالتاريخ الأرمني مع التركيز على نقاط الخلاف والاختلاف مع الوسط العثماني الحاضن لهذه المجموعة العرقية والدينية. كما أنها نجحت في تخريج كوادر محلية من الأرمن أنفسهم تتولى مهمة التدريس في المدارس التي أنشئت بشكل واسع وانتشرت في كل أرجاء الأناضول. وتولت هذه المجموعات من خريجي تلك المدارس على اختلاف وظائفهم مسألة دعم تطلعات الأرمن إن على المستوى المعنوي في بعده الثقافي والدعائي، وإن على المستوى المادي المتمثل في مشاركة عصابات الأرمن المسلحة في تمردهم ضد الدولة العثمانية التي حاولت السيطرة على هذه الأمور والحد من نشاطات تلك المدارس وغيرها من مؤسسات التعليم الأجنبية الأخرى عن طريق وضعها تحت رقابة وإشراف السلطات العثمانية، وهذا ما سوف نحاول أن نعرض له تفصيلا في الصفحات القادمة.

المبحث الثاني

جهود الدولة العثمانية في مواجهة مؤسسات التعليم الأجنبي: الآليات والتطبيق

شكل التدريس إن باللغة الإنجليزية أو باللغة الأرمينية في مدارس الإرساليات الأمريكية بما احتواه من مضامين ثقافية تعمدت إهمال الموروث الحضاري للبلد الذي أنشئت تلك المدارس على أرضه أساسًا لظهور أجيال من خريجي تلك المدارس تستلهم المفاهيم والقيم الغربية، وتعتبر أنها وحدها هي الجديرة بالاتباع والتقليد. ذلك أن الأثر الذي تحدثه مثل هذه المدارس الأجنبية التي يتعلم بها الطالب هو أثر راسخ ومستمر لا يمكن إنكاره؛ إذ أن الطالب وهو بعد في سن صغيرة كان يجلس بين يدي معلمه المسيحي الأجنبي يتلقى عنه العلم، ومن خلال التأثر بشخصيته يمكن أن تنتقل إليه أفكار ومفاهيم قد تخالف قناعاته وإيمانه الذي نشأ وتربى عليه.

وقد استفادت المدارس الأجنبية ومنها الإرسالية بطبيعة الحال من عدم وجود تشريع في موضوع التعليم، وكانت لهم حرية الحركة كما يريدون دون أي نوع من المضايقات. وفي سبيل تحقيق أهدافهم نجحوا في إصدار بعض القوانين لصالحهم، منها قانون حق الرعايا الأجانب في التملك الذي صدر في 7 صفر 1284هـ/ 16 يونية 1867م. وعن طريق هذا القانون شرعت الدول الأجنبية في شراء الأراضي وبناء الكنائس والمدارس، وعندما أرادت الدولة العثمانية الحد من بيع تلك الأراضي لم تنجح في ذلك. وفي العام نفسه 1867م ظهر عدد من المدارس غير الرسمية وغير المرخصة، وتم إعداد لائحة ليس للحد من افتتاح هذه المدارس؛ بل لتوفيق أوضاعها بشكل رسمي. وهكذا تم السعي لوضع هذه المدارس تحت إشراف الدولة سواء من ناحية الحصول على ترخيص أو وضعها تحت الرقابة بشكل كامل(66).

ومع انتشار تلك المدارس بشكل سرطاني فوق الأراضي العثمانية في ظل ضعف قدرات الدولة، والظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد في القرن التاسع عشر، بدأت الدولة تنتبه وإن كان في وقت متأخر، لخطر ترك تلك مدارس الأقليات بشكل عام والتبشيرية منها بشكل خاص دون رقابة عليها وعلى مناهجها المختلفة. لذا فقد استدعى الأمر القيام بعدد من الخطوات وإصدار عدد من التشريعات التي تضمن وجود آلية معينة للرقابة على تلك المدارس والحد من نشاطها.

إصدار لائحة المعارف العمومية

وفي هذا الإطار جاءت أولى تلك المحاولات والمتمثلة في إصدار لائحة المعارف العمومية عام 1869م بهدف تنظيم العملية التعليمية في سائر المؤسسات التابعة للدولة، وتوفير آلية للإشراف والرقابة على مدارس الأقليات والمدارس الأجنبية. وكانت هذه اللائحة غير مسبوقة في تاريخ الدولة العثمانية إذ ظلت تلك المدارس خارج سيطرة الدولة ورقابتها حتى صدرت تلك اللائحة.

وكانت هذه اللائحة تتألف من خمسة أبواب؛ وجاء الباب الأول الذي اقتصر على تناول المدارس التابعة للدولة تحت عنوان: "في بيان أقسام درجات المدارس"، وتناول في قسمه المكون من عدة فصول المكاتب أي المدارس بدرجاتها المتنوعة الأولية الممثلة في مكاتب الصبيان والمتوسطة الممثلة في المدارس الرشدية والمكاتب السلطانية. ثم الدرجات

العليا وتناولت فيها دار المعلمين ودار المعلمات ودار الفنون. وفي كل منها تفصيل المناهج الدراسية التي يقوم الطالب بدراستها في كل مرحلة من تلك المراحل[67].

أما ما يتعلق بالمدارس الخاصة والأجنبية من مواد فقد جاءت في القسم الثاني من الباب الأول تحت عنوان: "المكاتب الخاصة"، وهو قسم صغير نسبيًا مقارنة ببقية الأقسام الأخرى إذ جاء في صفحة واحدة في مادتين فقط هما 129، 130 وفيهما كل ما يتعلق بالمدارس الخاصة والأجنبية[68].

أما بقية أبواب اللائحة فقد تناولت التشكيل الإداري لهيئة المعارف العمومية، والامتحانات والشهادات الواجب الحصول للتعيين في إحدى درجات التدريس، والشروط الواجب توافرها في كل من يتولى هذه وظيفة التدريس، والأمور المالية المتعلقة بالعملية التعليمية وإدارتها من ناحية المخصصات والواردات والنفقات[69].

وفي صدر المادة 129 وُضع تعريف للمدارس الأجنبية على النحو التالي: "يقصد بالمكاتب الخاصة المدارس الخاصة التي يتم تأسيسها في بعض الأماكن سواء من قبل الجماعات أو من طرف أشخاص من رعايا الدولة العلية أو الدول الأجنبية، ويتم التدريس بها بأجر أو بدون أجر، ويتم الانفاق عليها وتوفير مخصصاتها عن طريق الأوقاف التي يقوم هؤلاء الأشخاص بتأسيسها[70].

أما بقية المادة فقد خصصت لبيان الشروط الواجب تحقيقها لحصول أية جهة على رخصة لافتتاح إحدى المدارس الأجنبية. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تقوم فيها الدولة بوضع شروط لابد من توافرها حتي يتم السماح بعمل المدرسة واستمرارها فوق آراضي الدولة. وقد نصت هذه الشروط على ما يلي:" ويُشترط لتأسيس هذا النوع من المدارس وجود شهادة من جانب نظارة المعارف أو من إدارة المعارف المحلية في يد معلميها. وثاني الأمور الواجب مراعاتها هو عدم تدريس ما يعارض الآداب والسياسة في هذه المدارس. ويتم ذلك عن طريق تصديق نظارة المعارف، أو إدارة المعارف المحلية على جداول الدروس التي سيتم دراستها في تلك المدارس. أما ثالث تلك الشروط فيتمثل في إعطاء رخصة رسمية بهذا الشأن لتلك المدارس من جانب نظارة المعارف الموجودة في مدينة استانبول فقط[71].

وأوضحت المادة نفسها أنه في حال عدم توافر هذه الشروط الثلاثة بشكل كامل فإن تلك المدارس لا تمنح رخصة لافتتاحها ودوام العمل بها. وفي حال التصرف والعمل خلاف تلك الشروط يتم منع تلك المدارس. وإذا ما كان هناك شهادة في يد المدرسين المعينين لافتتاح تلك المدارس فإنه يلزم التصديق عليها من طرف إدارة المعارف[72].

أما المادة مائة وثلاثين من تلك اللائحة فتتناول الأمور التربوية الخاصة بمعاملة الأطفال الدارسين في تلك المدارس، وتؤكد بنص واضح ومحدد على أنه من الممنوع بشكل قطعي الضرب أو التلفظ بألفاظ نابية عند تأديب الأطفال غير الملتزمين أو غير المجتهدين. وأن تأديب الطلاب المستحقين للعقاب نتيجة الإهمال، وعدم الانضباط يتم وفق تعليمات خاصة ومن يتصرف خلاف ذلك سوف يكون مستحقاً للجزاء والعقاب[73].

جهود الرقابة والتفتيش في عهد السلطان عبد الحميد الثاني(1876-1909م)

عقب تولي السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم في عام 1876م بدأت مرحلة جادة ومختلفة من مساعي الدولة ضد تلك المدارس في محاولة للسيطرة عليها والحد من خطرها. وأعتبرت فترة حكم ذلك السلطان واحدة من أكثر الفترات

مقاومة لجهود المبشرين. فعلى الرغم من إصدار لائحة المعارف في عام 1869م؛ إلا أن أعداد المدارس لم تقل بل على العكس زاد عددها. ولهذا السبب أصدر السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يستشعر خطورة تلك المدارس قرارًا بتغيير المادة 129 من تلك اللائحة. وفي عام 1885م تم إعداد لائحة قانون من طرف مجلس المعارف ولكن تلك اللائحة لم تكن مفيدة؛ إذ إن الجمعيات التعليمية التي شكلها البروتستانت والجزويت بدأت في تعليم وتدريس أطفال الرعايا من غير المسلمين إن بشكل خفي أو بشكل علني، وذلك من أجل تشجيع الأفكار والتطلعات القومية عند أقليات مثل اليونان والأرمن والبلغار والدروز والنصيرين[74].

وبسبب قصور لائحة 1885م وعدم تحقيق الغاية المنشودة منها أمر السلطان ياوره الخاص درويش باشا في عام 1887م بتأسيس لجنة برئاسته لتعديل لائحة المعارف العمومية. وفي اللائحة المعدلة تم إضافة بعض الشروط والتشديد على أنها ضرورية ولازمة لفتح تلك المدارس ومنها:

- إنه على من يريد الالتحاق بالمدارس الأجنبية من التبعة العثمانيين ضرورة تلقي علومه الدينية في مدارسه أولاً قبل التحاقه بتلك المدارس.
- إخبار وإعلام نظارة المعارف بالكتب التي سيتم تدريسها بالمدارس.
- عدم معارضة لباس المدرسة للأدب وثقافة الدولة.
- إبطال معارضة المدارس لتفتيش الحكومة عليها.
- خلو سجلات مؤسسي المدارس والمدرسين العاملين بها من أية تهمة أو عقوبات[75].

وبعد وضع هذا التصور لمشروع اللائحة الجديدة تمت مناقشته من الناحية القانونية ووجد أن المادة الثانية والستين من معاهدة برلين والبرتوكول الملحق بها تحول دون تلك التعديلات. على اعتبار أن تلك المادة تعطي الحق لقناصل الدول الأوروبية في حماية المدارس الأجنبية؛ ولهذا السبب طُلب منع تطبيق تلك التعديلات خشية إثارة الدولة الأجنبية التابعة لها هذه المدارس واعتراضها[76].

وعلى الرغم من تقديم أكثر من مقترح مثل ما تم في عام 1896م على سبيل المثال لتغيير وتوسيع أحكام المادة 129 من لائحة المعارف العمومية، وإطلاق يد الدولة في التفتيش على تلك المدارس؛ إلا أن أيا منها لم يتحول إلى قانون. وأصر غير المسلمين على منع التفتيش على تلك المدارس بدعوى أن فرمان التنظيمات يوفر لهم هذا النوع من الامتيازات[77].

وكانت السفارات تقوم بدور ضاغط لمنع وتأجيل تطبيق أي قانون يصدر للرقابة والتفتيش على المدارس الأجنبية حتى إن الإداريين في المدارس الأجنبية في الفترة الأخيرة من عمر الدولة كانوا يرفضون مقابلة المفتشين العثمانيين القادمين للتفتيش على تلك المدارس، ولا يسمحون لهم بالدخول من باب المدرسة [78]. وكان لهذه الضغوط أبلغ الأثر في عدم تنفيذ ما ورد في لائحة المعارف العمومية وعلى وجه الخصوص المادة 129 المتعلقة بالمدارس الأجنبية.

وبلغ من تدخل الدول الأجنبية أنها أجبرت الدولة العثمانية على العفو عن معلمين اشتركا مع عصابة الهنتشاق الأرمنية المسلحة بعد أن تمت إدانتهما بالعصيان والتمرد وحكم عليهما بالإعدام. ولكن نتيجة ضغط وتهديد الحكومة

البريطانية اضطر السلطان عبد الحميد الثاني إلى إصدار أمر بالعفو عنهما، كما صدر في إبريل من عام 1893م عفو عام عن جميع المتهمين الأرمن السياسيين[79].

ونتيجة لهذه المعوقات سلك السلطان عبد الحميد الثاني طريقًا آخر لتنفيذ رؤيته في الحد من خطر هذه المدارس وتمثل هذا في عدة أمور:

- ربط المدارس الأجنبية ومدارس غير المسلمين بالحصول على رخصة.
- تدريس اللغة التركية في مدارس غير المسلمين.
- قصر تدريس اللغة التركية على مدارس الرشدية نتيجة قلة عدد المدرسين.
- التصديق على الكتب والبرامج الدراسية بعد دراستها من طرف مديري المعارف.
- ضرورة الحصول على إرادة سنية لإنشاء أية مدرسة من طرف الأجانب.
- بحث تناسب المدارس المراد فتحها مع عدد السكان المحليين في المنطقة[80].

ورغم كل هذه التدابير؛ إلا أن عدد المدارس المفتوحة لم يقل وأصبحت تمتد بشكل سرطاني في جسد الدولة المتهالك أصلاً. ورغم تعدد جهود التفتيش والرقابة التي حاولت الدولة فرضها على تلك المدارس؛ إلا أنها ظلت مجرد قرارات ولم ترق لدرجة التأثير. ويرجع السبب في ذلك إلى ارتباط تلك المدارس بتشكيلات الجماعات الدينية، وتولت الكنائس وقناصل الدول الأوربية كما ذكرنا منع تنفيذ تلك الإجراءات.

وبناء على ذلك لم يكتف السلطان عبد الحميد بإصدار اللوائح التي تحاول الحد من نشاط هذه المدارس التبشيرية؛ بل كلف بعض رجال الدولة بإعداد تقارير عن أحوال هذه المدارس وما يجب القيام. وجاء على رأس هذه التقارير تقرير محمد فريد باشا 1889م، وأحمد زهدي باشا عامي 1891، 1894م، وتقرير أحمد جودت باشا. وأكد التقرير الذي قدم في عام 1894م على أن الدولة العثمانية لم يكن لها أية سياسة تتعلق بالمدارس الأجنبية. وبعبارة أخرى كأن الدولة أغمضت الطرف عن كل ما أرادته المدارس الأجنبية. وخلصت كل هذه التقارير إلى ما يلي:

- عمل تفتيش صارم على تلك المدارس.
- جعل تدريس التاريخ العثماني واللغة التركية إجباريًّا.
- منع إلحاق الطلاب المسلمين بهذه المدارس.
- زيادة أعداد المدارس التابعة للدولة وزيادة ميزانياتها.
- الاعتناء باختيار مدرسي تلك المدارس[81].

ولكن رغم الموانع السياسية والحالة الاقتصادية وكل هذه الصعوبات التي حالت دون تطبيق مثل هذه التوصيات التي خرجت بها هذه التقارير؛ إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني لم يتوقف عن محاولة الحد من نشاط تلك المدارس والسيطرة عليها، وسعى من خلال توسيع رقعة التعليم الرسمى الذي تشرف عليه الدولة إلى إيجاد بدائل لتلك المدارس الأجنبية والتبشيرية. فلكي تستطيع الدولة مواجهة هذا الانتشار الممنهج للمدارس الأجنبية والتبشيرية وتقليل الرغبة والحماس في تلك المدارس بدأت في افتتاح المدارس وتوظيف معلمين موثوق بهم من غير المسلمين، وتدريس اللغة

التركية وجعل لها مكانًا ضمن البرامج الدراسية. ولهذا السبب تم التوسع في المدارس الإعدادية الابتدائية التي كانت مجانية ومختلطة، وذلك في العديد من الولايات للوصول إلى هذا الهدف مثل: بيروت وسوريا وحلب وآيدين وديار بكر ومعمورة العزيز وأضنة وسيواس وأدرنه وسلانيك وقوصوه ويانيه[82].

ولأن ما حدث في عهد السلطان عبد الحميد الثاني من تداعيات تخص الأقليات العرقية على المستوى السياسي كان نتاجًا للجهود التي تمت في التعليم عقب التنظيمات؛ لذا تم التشديد على توحيد البرامج الدراسية في المراحل الأولية من التعليم، وتمثل ذلك في جعل مكانة متميزة فيها للغة التركية[83]. وقبل ذلك كان تدريس اللغة التركية اختياريًا في تلك المدارس؛ لذا فقد أكدت لائحة التعليمات الصادرة في عام 1896م والخاصة بوظائف مديري المعارف على تدريس اللغة التركية في المدارس الأجنبية ومدارس الجماعات الدينية، وأن تكون اللغة التركية هي لغة التعليم بشكل كامل[84]. وللتأكد من دراسة اللغة التركية في المدارس الأرمينية تم ربط مساعدات الدولة لهذه المدارس بتعليم وتدريس تلك اللغة[85].

ولكن هذا القرار المتمثل في جعل اللغة التركية لغة الدراسة في المدارس الأجنبية بدرجاتها المختلفة كان يفتقر إلى آليات تطبيقه بسبب قلة عدد مدرسي تلك اللغة. وذلك كما أوضحت بجلاء إحدى الوثائق الصادرة في تاريخ سابق عن مجلس الوكلاء بتاريخ 30 ديسمبر 1894م من أن تدريس اللغة التركية إجباريًّا في جميع المدارس الأجنبية كان يحول دونه قلة عدد المدرسين الذين يصلحون لأداء تلك المهمة. ولذا خلص القرار إلى قصر تدريس اللغة التركية على المدارس الموجودة في القصبات دون القرى[86]. وهذا يوضح أن إجراءات منع حظر المدارس الأجنبية والتقليل من آثارها السلبية على المجتمع والدولة العثمانية كانت تفتقر إلى الآليات الواضحة التي تمكّن القائمين على أمر التعليم في تلك الفترة من تحقيق مساعيهم، وأن ما يصدر عن الدولة من قرارات كان يفوق قدراتهاعلى التنفيذ.

وهناك أمر آخر سعت الدولة للسيطرة عليه ووضعه تحت إشرافها وتمثل ذلك في الكتب الأجنبية الخاصة بتلك المدارس حيث كان يتم استقدامها من الخارج وتدريسها بشكل كامل حتى لو اشتملت على معلومات وكتابات ضد الأتراك والدولة العثمانية. وقد حاولت الدولة العثمانية السيطرة على هذا المحتوى الدراسي عن طريق آخر غير التفتيش والمداهمة[87]، وذلك عن طريق الجمارك للسيطرة على الكتب الدراسية الواردة من الخارج. وبداية من عام 1895م اتخذ قرار بالتدقيق الشديد على كل كتاب أجنبي يأتي إلى الجمارك العثمانية وقراءة كل صفحة من الكتاب[88]؛ إلا أن هذه المساعي لم يكتب لها النجاح وذلك لضعف إمكانات المراقبة والتفتيش بسبب نقص عدد الموظفين القادرين على قراءة وترجمة اللغات الأجنبية[89]، ولهذا السبب كان التفتيش في أغلب الأحيان يتأخر لمدة طويلة، ويتم دون إجراء التدقيق اللازم[90].

واضطرت الدولة العثمانية أمام هذا الوضع إلى الإذعان والقبول بالأمر الواقع وراجت هذه العبارة الخاصة بالمدارس والتي تقول:" حيث أنها كانت موجودة من قبل فلتستمر من الآن فصاعدًا". ومع ضغط الدول الأجنبية بدأت ورقة الرقابة على الكتب تهرب من يد الدولة العثمانية حتى انتهى الأمر إلى الفشل[91].

وفي مسعى من الدولة العثمانية لاستيعاب الأطفال الأرمن داخل مدارس الدولة تم إضافة اللغة الأرمنية إلى مفردات ومناهج الدراسة في تلك المدارس، وذلك لجذب الطلاب للدراسة في هذه المدارس الإعدادية والرشدية في مدن أضنه

ومعمورة العزيز وأرضروم ووان وديار بكر. وكان الغرض من افتتاح هذه المدارس هو تجاوز أزمة الثقة في بعض المجتمعات بين المسلمين والأرمن، ولكن هذه المحاولة باءت هي أيضًا بالفشل[92].

إضافة إلى هذا قامت الدولة العثمانية في عام 1893م بإلغاء "اتحاد المدارس الأرمنية" الذي كان يقوم بالتنسيق بين جميع هذه المدارس وتحديد البرامج الدراسية بها[93]. وكان هذا الكيان قد أنشئ بعد عام 1861م في فترة انتشار التعليم الأرمني بشكل واسع خارج استانبول، وتأسيس جمعيات ثقافية أرمنية في مناطق الأناضول المختلفة مثل أضنه ووان وأرضروم ومعمورة العزيز وديار بكر وتبليس، وذلك بغرض إحداث تناغم وانسجام بين المدارس الأرمينية في الدولة العثمانية عبر هذا الكيان[94].

أيضًا قدم اقتراح في عهد السلطان عبد الحميد الثاني يتمثل في إلغاء الدروس الدينية من المدارس الإعدادية التابعة للدولة وذلك لسد ذريعة غير المسلمين في عدم إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس بحجة تدريس الدين الإسلامي بها. إضافة إلى التفكير في إلغاء دروس الدين من مؤسسات التعليم الأولى بهدف توحيد مؤسسات التعليم تلك، ولكن هذا الاقتراح لم يوضع موضع التنفيذ[95].

أما الآلية التي نجحت الدولة في تحقيقها فقد تمثلت في منع المسلمين من الدراسة في مدارس الإرساليات الأجنبية؛ ذلك أن مديري هذه المدارس من القساوسة والرهبان كانوا يجبرون الطلاب المسلمين الذين يدخلون إلى هذه المدارس على الذهاب إلى الكنيسة وممارسة العبادات، وترديد الأدعية المسيحية، حتى أن البعض منهم كان يقبلون الصليب طلبًا للمغفرة. وكان التدبير الوحيد الذي أتخذ لمواجهة هذا الأمر هو السعي لمنع دخول هؤلاء الطلاب من المسلمين إلى تلك المدارس[96]. وخشيت الدولة العثمانية من قبول الطلاب المسلمين في المدارس الأجنبية ومدارس الجماعات الدينية وراقبت هذا الأمر بصرامة[97]. وفي هذا السياق بدأ بعض ولاة الأمور المسلمين في سحب أولادهم من المدارس الأجنبية احتجاجا على تصرفات مديريها مثلما حدث في إحدى المدارس اليونانية في عام 1887م والتي كانت تلقن طلابها الأفكار الانفصالية وتقوم بإهانة الجنود العثمانيين العائدين من مراسم السلام التي كانت تتم يوم الجمعة. وعندما طلب بعض ولاة الأمور إبعاد ذلك المدير اليوناني الذي تسبب في كل هذا عن منصبه لم يصلوا إلى أية نتيجة فاضطروا كرد فعل على هذا التجاهل إلى سحب أولادهم من المدرسة[98].

ولكن تلك الحال تغيرت عقب تولي الاتحاد والترقي مقاليد السلطة في البلاد فبينما كان التعليم في معهد البنات الأمريكي في بورصة قاصرًا على غير المسلمين حتى عام 1908م، شهدت الفترة عقب المشروطية الثانية تحول عدد من الطلاب الأتراك المسلمين إلى تلك المدرسة بنسب متزايدة. وتم تطبيق البرامج الدراسية بشكل كامل على جميع الطلاب المسلمين فعلى سبيل المثال كان الطلاب المسلمون مجبرين على حضور دروس الإنجيل وحضور الصلوات الصباحية، وأظهر ولاة الأمور ردة فعل تجاه تلك الممارسات[99].

وفي الختام تبقى حقيقة أن كل الإجراءات التي أدت إلى زيادة عدد المدارس الأجنبية وتحولها إلى كيان حصين داخل الدولة غير قابل للتفتيش، ومعارض لأي نوع من التغيير قد حدث في فترات تسبق السلطان عبد الحميد الثاني. وعندما جاء ذلك السلطان إلى الحكم كانت هذه الأمور قد اكتملت، وكان من الصعب تغيير هذا الواقع الذي كان يشبه كرة الثلج الآخذة في التدحرج. وقد تأكد هذا الوضع مع تيقن الدول الغربية أن الدولة العثمانية تعيش في فترة تدهور ولم تعد لديها القدرة على المقاومة. ورغم مساعي السلطان عبد الحميد الثاني الحثيثة؛ إلا أنه لم يستطع أن يحقق سوى نجاحات محدودة في الحد من أنشطة تلك المدارس الضارة فوق الأراضي العثمانية في فترة كانت تشهد أوج تمددها وانتشارها وتأثيرها.

الخاتمة

بدأت فترة التنظيمات في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر بفكرة مفادها أن إعطاء مزيد من المكتسبات والحريات الدينية إلى العناصر غير المسلمة سوف يؤدي بالضرورة إلى دعم ارتباط تلك المجموعات العضوي بالدولة. واستغلت الدول الأوروبية ذلك المناخ الذي وفرته فترة التنظيمات وبدأت في إرسال البعثات التبشيرية للعمل بين العثمانيين. وكان إنشاء المدارس التبشيرية إحدى أهم الوسائل التي استغلها المبشرون لنشر لغات الدول التي تنتمي لها تلك المدارس وثقافاتها بين الأقليات الدينية والقومية في الدولة.

وحاولت تلك الدولة من خلال تلك المدارس تنفيذ طموحاتها السياسية الرامية إلى إضعاف الدولة العثمانية عن طريق استغلال الأقليات الدينية لتشكيل كيانات قومية داخل بنية الدولة تدعو إلى التمرد على الدولة والانفصال عنها. وتحويل تلك الكيانات إذا ما سنحت الظروف الدولية إلى دول مستقلة في الفترات التي شهدت ضعف الدولة العثمانية صاحبة التنوع الإثني والديني الكبيرين، والتي كانت تتمتع ببنية عرقية ودينية مختلفة عن معظم الدول الأوروبية.

وفي هذا الإطار لعبت المدارس التبشيرية الأمريكية دورًا لا يستهان به في إيقاظ الشعور القومي لدى أقليات مثل الأرمن والبلغار. وكانت هذه المدارس تأتي بالتوازي مع إيجاد كنيسة تعتنق المذهب البروتستانتي مذهب تلك الإرساليات، وذلك في معارضة واضحة للمذهب السائد لتلك القومية. وفي خطوة تالية يتم نقل هذه الطموحات القومية النظرية إلى مرحلة عملية تتمثل في التمرد والمطالبة بالانفصال والتي تحاول الدولة مواجهتها فتقوم الدعاية الغربية بالتركيز عليها. ومن ثم تنتقل تلك القضية إلى مجال الدبلوماسية الدولية، وتصبح ورقة في يد الدول الغربية تمارس بها مزيدًا من الضغوط على الدولة العثمانية. ولهذا فليس من الخطأ النظر إلى تلك المدارس على أنها كانت تستعمل من قبل تلك الدول كداعم داخلي للضغوط السياسية الخارجية التي مارستها تلك الدول.

وفي هذا الشأن يمكن القول إن الكنيسة الأرمنية في القرن التاسع عشر وعلى الرغم من أنها قاومت بشدة تحول الأرمن إلى المذهب البروتستانتي؛ لكنها لم تقاوم بنفس القدر والحماسة انتشار الأفكار القومية بين الأرمن في سعيهم إلى الانفصال وتكوين دولة لهم بعيدًا عن اعتبارات المعايشة السلمية التي ميزت العلاقة بين الأرمن والدولة العثمانية لعدة قرون. بل يمكن التأكيد على أن الكنيسة من خلال مدارسها إضافة إلى المدارس التبشيرية كانت عنصرًا أساسيًّا في تلك المساعي التي قام بها الأرمن المتطرفون سواء عن طريق الدعم المادي المتمثل في توفير المشاركة والاحتضان لعناصر الجماعات الأرمنية، أو عن طريق الدعم الروحي عن طريق الموافقة وعدم الاعتراض عما يقوم به الأرمن الشبان من أنشطة تهدد الأمن القومي للدولة العثمانية.

ولعل الدولة العثمانية إذا ما اختلف الظرف الخارجي وتوفرت لها الإرادة والإمكانات، وسعت بجدية منذ فترة مبكرة لمقاومة المدارس التبشيرية وما قامت به من أنشطة بين أوساط الأرمن في غيبة من الرقابة والتفتيش، ما كان يمكن للروح القومية المتطرفة أن تنتشر بين الأقلية الأرمينية التي كانت تطلق عليهم "الملة الصادقة"، أو تظهر بين مكونات سكانية أخرى في الدولة كالبلغار والعرب. وما كانت الدولة لتشهد ما شهدته من تصدعات في بنيانها وبنيتها أثرت بشكل جذري في تماميتها وتماسكها، والتي حدثت بالأساس نتيجة التساهل في دخول تلك الإرساليات التبشيرية إلى أراضيها وما حملته من أجندات سياسية كانت تصب بالتأكيد في مصلحة الدول الغربية.

Abstract

American Missionary Schools and Their Impact on Minorities in the Ottoman Empire: The Armenians as a Model

By Ahmed Abdalla Negm

Western countries sought to further interfere in the affairs of the Ottoman Empire despite all the gains that the state's non-Muslim subjects had obtained during the Tanzimat period. The pretext that this state presented to exert more pressure on the Ottoman Empire was to protect the Christian minorities there. This required creating a kind of discontent in the cities and places where Christians constituted a significant majority, which would lead to a kind of instability in those areas, which would require further foreign intervention. Christian "missionary" campaigns, especially the American ones, which penetrated the lands of the Ottoman Empire and legally carried out their work after the Tanzimat decrees, played an important role in this regard. The effective tool that these missionary campaigns used to carry out the task assigned to them, which is to weaken the Ottoman Empire, was the establishment of many educational institutions in places where ethnic and religious minorities gathered in many cities and states of the state.

In this context comes our research, through which we seek to learn about what the American missionary schools did through their schools within the state's territory, and the impact of that on one of the most important minorities in the Ottoman Empire, namely the Armenians. And the efforts made by the Ottoman Empire to confront those foreign schools in general and missionary schools in particular, relying in reaching this goal on the historical method that is based on analysis, interpretation and induction of sources, references and studies related to the subject of the study.

هوامش الدراسة

(1) **خليل اينالجيق:** تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2002م، ص 74.

(2) انظر، **عبد الرازق بركات:** نصوص من الفكر الإسلامي، دار الهداية، القاهرة، 2010م، ص 31.

(3) **Mümtazer Türköne :** Osmanlılar'da Islahat ve Teceddüt, Osmanlı Ansiklopedisi, İz yayıncılık,ist;1996. 6cilt, S. 33,35.

(4) للإطلاع على نص فرمان خط همايوني وماورد به من بنود تتعلق برعايا الدولة من غير المسلمين انظر، **محمد فريد:** تاريخ الدولة العلية العثمانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 3، 1997م، ص 256-260.

(5) إحدى الفرق المسيحية أسسها في سنة 1534م قسيس فرنسي يدعى إنياس لايولا. كان إنياس يتشدد في وجوب الطاعة بلا تردد لأحكام الدين، وبتقرير حكومة مطلقة يقودها ملك فرد، فكان يرمي في تعاليمه إلى جعل أتباعه أشبه بالجنود في ساحة المعركة يجب عليهم الاستسلام لقائدهم . عرض إنياس على البابا مشروعه لتكوين طائفة دينية لنشر مبادئ الديانة الكاثوليكية وتأييد مركز الكنيسة الرومانية. وكان لايولا يرمي بهذه الجمعية إلى تحقيق غرضين أولهما هداية الكافرين إلى المسيحية وثانيهما تكوين جيش محارب لنصرة البابا. انظر، **محمد فريد وجدي:** دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت،1980م، ص101-104.

(6) **Mustafa Erdem** :Türkiye'de Azınlıklara Yönelik Misyoner Faalıyetleri, İslam İlim Araştırma vakfı,ist.,2005,s.272.

(7)**Ayten Sezer:** Osmanlı'dan Cumhuriyet'e Misyonerlerin Türkiye'deki Eğitim ve Oğretim Faaliyetleri, Hacettepe Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Dergisi**,**cilt,16,1999,s.172.

(8)**Hüseyin Canyaş:** Osmanlı'dan günümüze Misyonerlerin Kültürel Alandaki Faaliyetleri,Türklük Bilimi Araştırmaları, sayi. 31, 2012**,** s.58.

(9) استطاعت الدولة العثمانية أن تحقق انتصارات كبيرة في جميع المعارك التي دخلتها ضد الأحلاف التي شكلتها أوروبا في محاولتها لوقف تقدم الدولة العثمانية في أوروبا مثال ذلك معركة قوصوه الأولى 1389م في عهد السلطان مراد الأول، ومعركة نيكوبولى في عام 1396م، وانتصر السلطان مراد الثاني في معركة قوصوه الثانية، ونجح السلطان محمد الفاتح في فتح القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية في عام 1453م ، وفتح السلطان القانوني بلجراد عام1520م. ولمزيد من التفصيل حول تلك المعارك والانتصارات انظر، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 3، 1997م، ص 44–85.

(10) للوقوف تفصيلاً على السياسة التبشيرية التي اعتمدتها المجموعات الكاثوليكية وما كان يقوم الفاتيكان انظر، **إيمان عبد الرحمن هياجنه، حنان سليمان ملكاوي:** التبشير الفرنسي الكاثوليكي في ولاية الأناضول في القرن التاسع عشر النشاط التعليمي نموذجًا، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، 2014م، ص732–733.

(11)**Mustafa Erdem** : a.g.e.,s.272.

(12) **إيمان عبد الرحمن هياجنه:** مرجع سابق، ص730.

(13)**Hüseyin Canyaş:** a.g.e**.,**s.58-59.

(14) **Ayten Sezer:** a.g.e.,s.170**.**

(15) **İlknur Polat Haydıroğlu:** Osmanlı impratorluğunda Yabancı Okulları, Kültür Bakanlığı, Ankara, 1990,s.11.

(16) **İlknur Polat Haydıroğlu:** a.g.e.,s.11.

(17)**Ayten Sezer:** a.g.e.,s.174.

(18) **إيمان عبد الرحمن هياجنه:** مرجع سابق، ص 737.

(19) **فاضل بيات:** المؤسسات التعليمية في الشرق العربي العثماني، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 2013 م، ص 676.

(20) **Remzi Kılıç:** Misyonerlik ve Türkiye'ye Yeyönelik Misyoner Faalıyetleri, Türklük Bilimi Araştırmaları, sayi. XIX / 2006,s.,337.

(21) **Hüseyin Canyaş:** a.g.e.,s.56.

(22) **Süleyman Büyükkarcı**: İngiliz Okulları ve Tarihi Gelişimi. Selçuk Üniversitesi Türkiyat Araştırmaları Dergisi(6), 1999,s.151.

(23) **كريكور ابراهيم استارجيان:** تأريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، 1951م، ص266–269.

(24) **Zeki Salih Zengin:** II. Abdülhamit Döneminde Yabancı ve Azınlık Mekteplerinin Faaliyetleri, Belleten, Agustos 2007, Cilt 71, say: 261**,**s.613.

(25) **Bkz Halide Aslan**:Tanzimat Döneminde Dinî Değişim Halleri: İhtida-Gizli Din-Tanassur ve Osmanlı, Toplum Bilimleri , Temmuz - Aralık 2012 ,s.68-71.

(26)**Mustafa Erdem** : : a.g.e., s.275.

(27)**Hüseyin Canyaş:** a.g.e.,s.62.

(28) **Sezen Kılıç:** Cumuriyet Döneminde Yabancı Okullar 1923-1938, Atatürk Araştırma Merkezi, Ankara, 2005,s.268.

(29) **Ebru Esenkal**: Yabancı Ülkeler tarafından Osmanlı Coğrafyasında Açılan Okullar, Yükesk Lisans Tezi, Edirne Trakya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2007, S. 110.

(30) **هشام سوادي هاشم:** من صور التواصل الحضاري بين الشرق والعالم الإسلامي: المدارس الامريكية في الدولة العثمانية، بحث ألقي في مؤتمر فيلادلفيا الدولي الرابع عشر الذي نظمته جامعة فيلاديفا في عمان تحت عنوان "ثقافة التواصل" في الفترة بين يومي 3–5 نوفمبر

2009م. منشور على شبكة المعلومات الدولية. ص2.

https://www.philadelphia.edu.jo/arts/14th/conf14.htm

(31) **Ebru Esenkal**: a.g.e.,s.110.

(32) **Levent Çörekli**: ABD'nin Osmanlı Topraklarında Misyonerlik Faaliyetleri ve Ermeniler, Bellek Uluslararası Tarih ve Kültür Araştırmaları Dergisi, 5cilt,1 sayı,2023,s.7.

(33)**هشام سوادي هاشم:** مرجع سابق، ص2.

(34)**Uygur Kocabaşoğlu:** Doğu Sorunu Çevresinde Amerikan Misyoner Faaliyetleri,Tarihi Gelişmeler İçinde Türkiye'nin Sorunları Sempozyumu,TTK Basımevi, Ankara,1992,s.68.

(35) **Gökhan Özeren**: ABD 'nin Ermeni Politikası 1890–1920, Yüksek Lisans Tezi, Kadir Has Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, İstanbul, 2009,22.

(36) **Yavuz Güler**: Osmanlı Devleti Dönemi Türk – Amerikan İlişkileri (1795 – 1914), Gazi Üniversitesi Kırşehir Eğitim Fakültesi, Ankara, 2005,Cilt 6, Sayı 1, s.233,237.

(37) **Yavuz Güler**: a.g.e.,s.237.

(38)**Özgür Yıldız:** İzmit'te (Nicomedia) Amerikan Misyoner Faaliyetleri, Gazi Akademik Bakış, Cilt 5, sayı 10, 2012,s.97-99.

(39)انظر، الأرشيف العثماني وثيقة رقم DH.TMIK.M وهي عبارة عن ترجمة ملخص المحرر الوارد من سفارة الدولة العثمانية في واشنطن بتاريخ 29 مايس 1896م. وثيقة رقم (1)

(40)**Uygur Kocabaşoğlu:** Kendi Blegeleriyle Anadolu'daki Amerika 19. Yüzyılda Osmanlı İmpartorluğu'ndaki Amerikan Misyoner Okulları, Arba yayınları, ist, 1989,s.60-61.

(41)**عامر بلو إسماعيل:** التعليم التبشيري الأمريكي منذ آواخر العهد العثماني حتى عام 1932، مجلة التربية والعلم المجلد 16، العدد 2، جامعة الموصل، 2009، ص61.

(42) **Ebru Esenkal**: a.g.e.,s.31.

(43)احتضنت الدولة العثمانية مجموعات كبيرة من البشر ينتسبون إلى أديان ومذاهب متعددة. وقد استطاعت أن تحكم هذه المجموعات مقسمة إياهم طبقا للأديان والمذاهب التي ينتسبون إليها. وكانت كل واحدة من الجماعات أو الطوائف الدينية تنتخب رئيس جماعتها بنفسها، وكانت الدولة تعترف بهذا الشخص المنتخب كحاكم وزعيم لهذه الجماعة. ولتأكيد هذا الأمر فإن هذه الجماعات كانت تحصل على براءات من الدولة تعطي لها الحق في تنظيم قوانينها وتقاليدها ومؤسساتها التعليمية بشكل مستقل كأنها دولة داخل الدولة، وسمي هذا النظام بـــ "نظام الملة". انظر، **أحمد حكمت أر اوغلو:** اليهود في الدولة العثمانية حتى نهلية القرن التاسع عشر، ترجمة وتقديم أحمد عبد الله نجم، أركان للدراسات والأبحاث والنشر، القاهرة، ط3، 2021م ص، 89.

(44)**هشام سوادي هاشم:** مرجع سابق، ص5.

(45)**Tahsın Fendoğu**: Amerika Birleşik Devletlernin Misyonerleri ve Osmanl Devleti, Türkler Ansiklopedi, Yeni Türkiye Yayınları, Ankara, 2002,Cilt:14, s.193.

(46) **Ebru Esenkal**: a.g.e.,s.112.

(47)**Özgür Yıldız:** İzmit'te (Nicomedia) Amerikan Misyoner Faaliyetleri, Gazi Akademik Bakış, Cilt 5, sayı 10, 2012,s.104.

(48)**Mustafa Erdem** : a.g.e., s.288.

(49)**Uygur Kocabaşoğlu: :** a.g.e.,s.25.

(50)**Macit Kenanoğlu:** Osmanlı İmparatorluğu'nda Gayrimüsliınlerin Eğitimi Üzerine, Türkiye Araştrmalar Literatür Dergisi, Cilt 6, Sayı 12,2008,s.182.

(51) كانت البنية الاجتماعية للأطفال الذين يدرسون في هذا المعهد من العثمانيين حتى عام 1919م على النحو التالي: واحد من أبناء الأسرة الحاكمة، 17 من أبناء موظفي الطبقة العليا، 42 من أبناء موظفي الدولة، 15 من أبناء العسكريين،12 من الماليين ورجال البنوك، خمسة من أبناء الحرفيين، 41 من أبناء التجار، أربعة من مديري القطاع الخاص، وخمسة من رجال الأعمال. انظر،

Elif Evrim Şencan: Robert Kolej'de okuyan Türk öğrencilerin sosyal arka planları (1863-1971), Yakın

Dönem Türkiye Araştırmaları, Cilt.17, Sayı. 33, 2018,s.50

(52) **İlknur Polat Haydıroglu**: Osmanlı impratorluğunda Açılan Amerikan Okullar Üzerine bir İnceleme, 52 cilt, sayı, 203, 1988.s.635.

(53) **Tahsın Fendoğu**: a.g.e.,s.194.

(54) **Levent Çörekli**: a.g.e.,s.10.

(55) **Uygur Kocabaşoğlu:** a.g.e.,s.139-141**.**

(56) **Ebru Esenkal**: a.g.e.,s.31.

(57) **Yavuz Güler** : a.g.e.,s.238.

(58) **Hakan Özdemir:** Osmanlı İdaresinin Ermeni Okullarına Yaklaşımı (1878-1900), Tarih Okulu Dergisi, vol, no. XIII, 2011,s.127..

(59) **Selçuk Akşın**: Osmanlı Ermenilerinde Kültür Modernleşmesi, Cemaat Okulları ve Abduhamid Rejimi, Tarih ve Toplum Yeni yaklaşımlar (5). s.1.

(60) **Levent Çörekli**: a.g.e.,s.10.

(61) **Yılmaz Öztuna** : Tarih ve Politika Ansiklopedisi, Ötüken Neşriyat,ist.,2006.,s.99.

(62) للوقوف تفصيلا على تأسيس هذه المنظمات وما قامت به من أعمال أرهابية داخل الأراضي العثمانية. انظر، **Orhan Doğan**: Ermeni Komiteleri Hınçak ve Taşnaksütün (Rus Adalet Bakanı Y. Muravyev'in Ermeni Komitelerine İlişkin Raporu), Selçuk Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi,sayi.20, 2008,s.311-315.

(63) **Mustafa Hidayet Vahapoğlu**:Osmanlı'dan Günümüze Azınlık ve Yabancı Okullar, Milli eğitim bakanlığı yayınları, İstanbul 2005,S,27.

(64) **Bkz. Ayşe Zamacı**: "Ermeni Milliyetçiliğinin Siyasallaşmasında Ermeni Muallimlerinin Faaliyet Ve Rolleri". Ermeni Araştırmaları, sy. 62 (Nisan 2019),53-60.

(65) انظر، الأرشيف العثماني وثيقة رقم DH.TMIK.M وثيقة سرية مرسلة إلى ولاية "وان" الجليلة. وثيقة رقم (2)

(66) **Ebru Esenkal**: a.g.e.,s.31.

(67) انظر معارف عموميه نظامنامه سى، مطبعهء عامره، استانبول، 1286هـ،ص1–34.

(68) معارف عموميه نظامنامه سى، مرجع سابق، ص35.

(69) انظر معارف عموميه نظامنامه سى، مرجع سابق،ص37–59.

(70) معارف عموميه نظامنامه سى، مرجع سابق، ص36.

(71) معارف عموميه نظامنامه سى، مرجع سابق، ص36.

(72) معارف عموميه نظامنامه سى، مرجع سابق، ص36.

(73) معارف عموميه نظامنامه سى، مرجع سابق، ص36.

(74) **Şmail Mutlu**: Osmanlı İmparatorluğunda Yabancı Okullar,Doktora Tezi, İstanbul Universitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü,1999,s.9-10.

(75) **Şmail Mutlu**: a.g.e.,s.10.

(76) **Şmail Mutlu**: a.g.e.,s.11.

(77) **Ebru Esenkal**: a.g.e.,s.57.

(78) **Sezen Kılıç**: a.g.e.,s.265.

(79)**Ayşe Zamacı:** a.g.e.,s.62-63.

(80) **Ebru Esenkal**: a.g.e.,s.58.

(81) **Hakan Özdemir:** a.g.e.,s.132..

(82) **Zeki Salih Zengin:: : a.g.e.,**s.643.

(83) **Zeki Salih Zengin:** a.g.e.,s.646.

(84) **Tuğrul Özcan:** a.g.e.,s.222.
(85) **Macit Kenanoğlu:** a.g.e.,s.189.

(86) انظر وثيقة رقم 2 .83 .MV في

Muzaffer Albayrak, Kevser Şeker: Arşiv Belgelerine Göre Osmanlı Eğitiminde Modernleşme, Başbakanlık Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü,ist.,2014,s.,212

(87) بعد عام 1890م كان موظفو الدولة يقومون بحملات لتفتيش ومداهمة مدارس الأرمن وفي بعض الأحيان كانوا يجدون أفرادًا من العصابات السرية في هذه المدارس فيغلقون المدرسة. وفي بعض الأحيان يلقون القبض على الإداريين والمدرسين. وكان قد صدر في عام 1893م قرار ينص على عدم إعطاء نظارة المعارف ترخيص لأية مدرسة دون الحصول على إذن من هيئة الوكلاء. انظر، **Hakan Özdemir**: a.g.e.,s.129..

(88)**Selçuk Akşın:** a.g.e.,s.13.

(89) ومن اللافت للنظر أن أكثر الموظفين المكلفين بالتفتيش على المدارس الخاصة بالجماعات الدينية من طرف الباب العالي ونظارة المعارف كانوا إما من الأرمن أو المسلمين من أصل أرمني. وذلك لأنهم كانوا على دراية كافية بمدارس غير المسلمين أن الجماعات الدينية إضافة إلى معرفتهم الجيدة باللغات الأجنبية. انظر،

Tuğrul Özcan: a.g.e.,s.220.

(90) **İlknur Haydıroglu:** Osmanlı Devleti'inde Yabancı Okularda Denetim ve Cumhuriyet Dönemine Yansımaları, Tarih Araştırmalar Dergisi, 25 cilt, sayı, 39, 2005,s.154.
(91) **İlknur Haydıroglu:** a.g.e.,s.155.
(92)**Selçuk Akşın:** a.g.e.,s.14.
(93)**Selçuk Akşın:** a.g.e.,s.13.
(94)**Ayşe Zamacı:** a.g.e., s. 51.
(95) **Zeki Salih Zengin:** a.g.e.,s.646.
(96) **Sezen Kılıç**: a.g.e.,s.268.
(97) **Tuğrul Özcan:** a.g.e.,s.225.
(98) **Zeki Salih Zengin:** a.g.e.,s.624.
(99) **İdris Yücel**:Yabancı Okullar ve Kültürel Milliyetçilik: Bursa Amerikan Kız Koleji Tanassur Hadisesi (1928),Belleten, Cilt: 80 Sayı: 287,Ankara, 2016,s.310.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الوثائق العثمانية

- **وثيقة رقم DH.TMIK.M محفوظة في الأرشيف العثماني بتاريخ 29 مايو 1896م.**

https://katalog.devletarsivleri.gov.tr/

- **وثيقة رقم DH.TMIK.M مرسلة إلى ولاية "وان"، محفوظة في الأرشيف العثماني بتاريخ 3 يونيه 1896م**

https://katalog.devletarsivleri.gov.tr/

ثانيا: المراجع العربية

- **أحمد حكمت أر اوغلو**: اليهود في الدولة العثمانية حتى نهلية القرن التاسع عشر، ترجمة وتقديم أحمد عبد الله نجم، أركان للدراسات والأبحاث والنشر، القاهرة، ط3، 2021م .
- **إيمان عبد الرحمن هياجنه، حنان سليمان ملكاوي**: التبشير الفرنسي الكاثوليكي في ولاية الأناضول في القرن التاسع عشر النشاط التعليمي نموذجًا، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، 2014م.
- **خليل اينالجيق**: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2002م.

- **عامر بلو إسماعيل:** التعليم التبشيري الأمريكي منذ آواخر العهد العثماني حتى عام 1932، مجلة التربية والعلم المجلد 16، العدد 2، جامعة الموصل، 2009.
- **عبد الرازق بركات:** نصوص من الفكر الإسلامي، دار الهداية، القاهرة، 2010م.
- **فاضل بيات:** المؤسسات التعليمية في الشرق العربي العثماني، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 2013 م.
- **كريكور ابراهيم استارجيان:** تأريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، 1951م.
- **محمد فريد:** تاريخ الدولة العلية العثمانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 3، 1997م.
- **محمد فريد وجدي:** دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت،1980م.
- **هشام سوادي هاشم:** من صور التواصل الحضاري بين الشرق والعالم الإسلامي: المدارس الامريكية في الدولة العثمانية، بحث ألقي في مؤتمر فيلادلفيا الدولي الرابع عشر الذي نظمته جامعة فيلادليفا في عمان تحت عنوان "ثقافة التواصل" في الفترة بين يومي 3–5 نوفمبر 2009م. منشور على شبكة المعلومات الدولية.

https://www.philadelphia.edu.jo/arts/14th/conf14.htm

ثالثا: المصادر العثمانية

- **معارف عموميه نظامنامه سى، مطبعهء عامره، استانبول، 1286هـ.**

رابعا: المراجع التركية

- **Ayşe Zamacı:** Ermeni Milliyetçiliğinin Siyasallaşmasında Ermeni Muallimlerinin Faaliyet Ve Rolleri, Ermeni Araştırmaları, sayi, 62, Nisan 2019.
- **Ayten Sezer:** Osmanlı'dan Cumhuriyet'e Misyonerlerin Türkiye'deki Eğitim ve Oğretim Faaliyetleri, Hacettepe Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Dergisi**,** cilt,16,1999.
- **Ebru Esenkal**: Yabancı Ülkeler tarafından Osmanlı Coğrafyasında Açılan Okullar, Yükesk Lisans tezi, Edirne Trakya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2007.
- **Elif Evrim Şencan:** Robert Kolej'de okuyan Türk öğrencilerin sosyal arka planları (1863-1971), Yakın Dönem Türkiye Araştırmaları, Cilt.17, Sayı. 33, 2018.
- **Gökhan Özeren**: ABD 'nin Ermeni Politikası 1890–1920, Yüksek Lisans Tezi, Kadir Has Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, İstanbul, 2009,22.
- **Hakan Özdemir:** Osmanlı İdaresinin Ermeni Okullarına Yaklaşımı (1878-1900), Tarih Okulu Dergisi, vol, no. XIII, 2011,s.127..
- **Halide Aslan**:Tanzimat Döneminde Dinî Değişim Halleri: İhtida-Gizli Din-Tanassur ve Osmanlı, Toplum Bilimleri , Temmuz - Aralık 2012.
- **Hüseyin Canyaş:** Osmanlı'dan Günümüze Misyonerlerin Kültürel Alandaki Faaliyetleri,Türklük Bilimi Araştırmaları, sayi. 31, 2012**,**.
- **İdris Yücel:**Yabancı Okullar ve Kültürel Milliyetçilik: Bursa Amerikan Kız Koleji Tanassur Hadisesi (1928),Belleten, Cilt: 80 Sayı: 287,Ankara, 2016.
- **İlknur Polat Haydıroglu:** Osmanlı Devleti'inde yabancı okularda denetim ve Cumhuriyet Dönemine Yansımaları, Tarih araştırmalar dergisi, 25 cilt, sayı, 39, 2005.
- **_____:** Osmanlı impratorluğunda Yabancı Okulları, Kültür Bakanlığı, Ankara, 1990.
- _____: Osmanlı impratorluğunda Açılan Amerikan Okullar Üzerine bir İnceleme, 52 cilt, sayı, 203, 1988.
- **Levent Çörekli**: ABD'nin Osmanlı Topraklarında Misyonerlik Faaliyetleri ve Ermeniler, Bellek Uluslararası Tarih ve Kültür Araştırmaları Dergisi, 5cilt,1 sayı,2023.

- **Macit Kenanoğlu:** Osmanlı İmparatorluğu'nda Gayrimüsliınlerin Eğitimi Üzerine, Türkiye Araştrmalar Literatür Dergisi, Cilt 6, Sayı 12,2008.
- **Mustafa Erdem** :Türkiye'de Azınlıklara Yönelik Misyoner Faalıyetleri, islam ilim araştırma vakfı,ist.,2005.
- **Mustafa Hidayet Vahapoğlu**:Osmanlı'dan Günümüze Azınlık ve Yabancı Okullar, Milli eğitim bakanlığı yayınları, İstanbul 2005.
- **Muzaffer Albayrak, Kevser Şeker:** Arşiv Belgelerine Göre Osmanlı Eğitiminde Modernleşme, Başbakanlık Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü,ist.,2014.
- **Mümtazer Türköne:** Osmanlılar'da Islahat ve Teceddüt, Osmanlı Ansiklopedisi, İz yayıncılık,ist;1996.
- **Orhan Doğan**: Ermeni Komiteleri Hınçak ve Taşnaksütün (Rus Adalet BakanıY. Muravyev'in Ermeni Komitelerine İlişkin Raporu), Selçuk Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi,sayi.20, 2008.
- **Özgür Yıldız:** İzmit'te (Nicomedia) Amerikan Misyoner Faaliyetleri, Gazi Akademik Bakış, Cilt 5, sayı 10, 2012.
- **Remzi Kılıç:** Misyonerlik ve Türkiye'ye Yeyönelik Misyoner Faalıyetleri, Türklük Bilimi Araştırmaları, sayi. XIX / 2006.
- **Selçuk Akşın**: Osmanlı Ermenilerinde Kültür Modernleşmesi, Cemaat Okulları ve Abduhamid Rejimi, Tarih ve Toplum yeni yaklaşımlar (5). s.1.
- **Sezen Kılıç:** Cumuriyet Döneminde Yabancı Okullar 1923-1938, Atatürk Araştırma Merkezi, Ankara, 2005.
- **Süleyman Büyükkarcı**: İngiliz Okulları ve Tarihi Gelişimi. Selçuk Üniversitesi Türkiyat Araştırmaları Dergisi(6), 1999.
- **Şmail Mutlu**: Osmanlı İmparatorluğunda Yabancı Okullar,Doktora Tezi, İstanbul Universitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü,1999.
- **Tahsın Fendoğu**: Amerika Birleşik Devletlernin Misyonerleri ve Osmanl Devleti, Türkler Ansiklopedi, Yeni Türkiye Yayınları, Ankara, 2002.
- **Uygur Kocabaşoğlu:** Kendi Blegeleriyle Anadolu'daki Amerika 19. Yüzyılda Osmanlı İmpartorluğu'ndaki Amerikan Misyoner Okulları, Arba yayınları, ist, 1989.
- **_____:**Doğu Sorunu Çevresinde Amerikan Misyoner Faaliyetleri,Tarihi Gelişmeler İçinde Türkiye'nin Sorunları Sempozyumu,TTK Basımevi, Ankara,1992.
- **Yavuz Güler**: Osmanlı Devleti Dönemi Türk – Amerikan İlişkileri (1795 – 1914), Gazi Üniversitesi Kırşehir Eğitim Fakültesi, Ankara,Cilt 6, Sayı 1, 2005.
- **Yılmaz Öztuna** : Tarih ve Politika Ansiklopedisi, Ötüken Neşriyat,ist.,2006.
- **Zeki Salih Zengin:** II. Abdülhamit Döneminde Yabancı ve Azınlık Mekteplerinin Faaliyetleri, Belleten, , Cilt 71, say: 261**,** Agustos 2007.

صور الوثائق

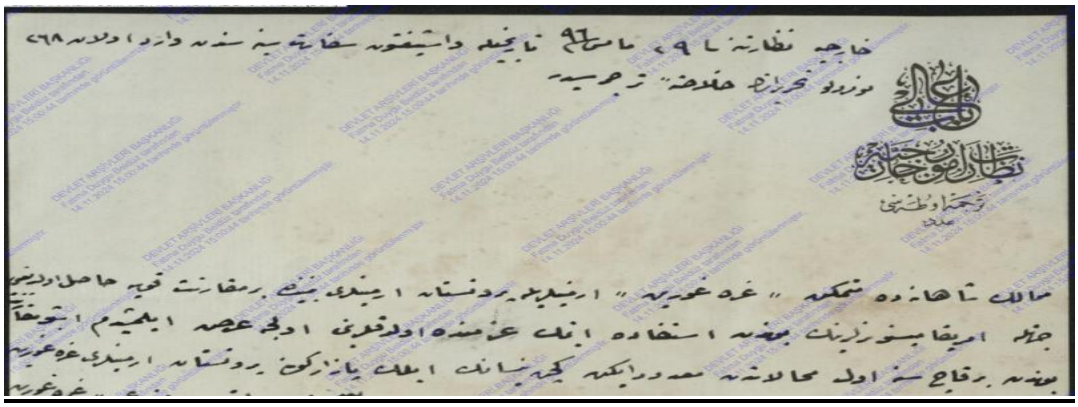

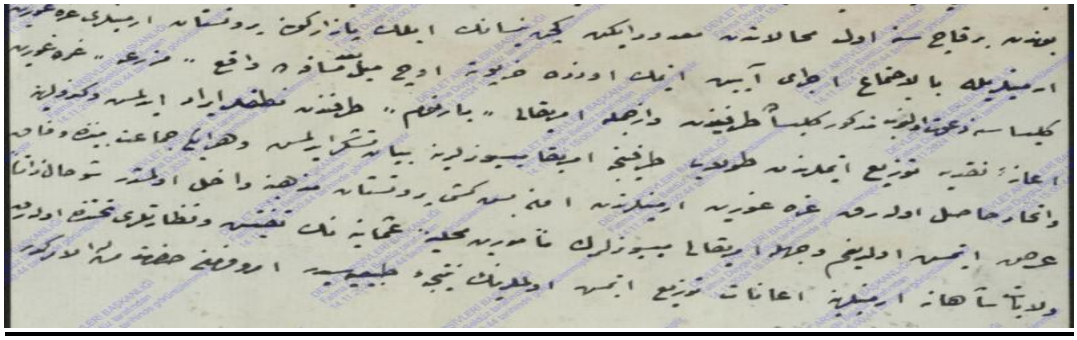

(وثيقة رقم 1)

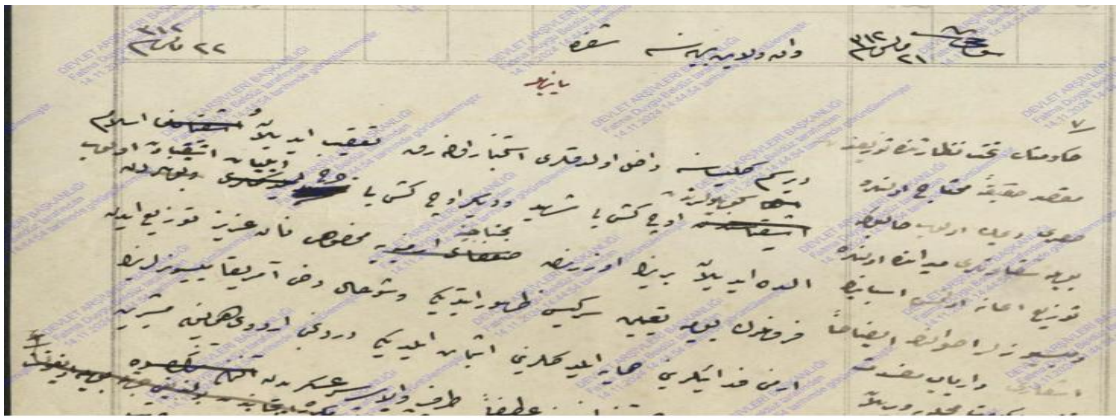

(وثيقة رقم 2)